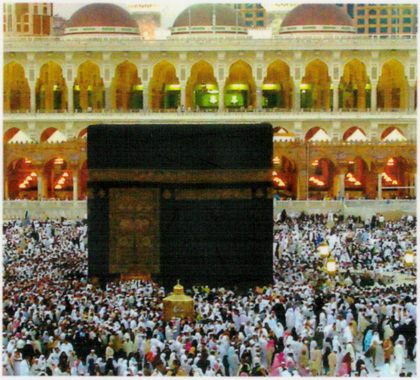
الشيخ أكرم بركات

كَيفَ تَرجِع

كما ولدتك أمّك؟



سلسلة على منبر القائم (عج)

بيت السراج
بيروت | لبنان

كَيفَ ترجع
كما ولدتك أمُّك؟

اســم الـكــتــاب: كيف تَرجعُ كما ولدَتكَ أُمُّك؟

الـــكـــاتـــب: الشيخ أكرم بركات

الــنـــاشـــر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعـة الثامنـة: بيروت ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م

كَيفَ ترجِع

كما ولدتْكَ أُمُّك؟

الشيخ أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف

**قضايا تلامس حاجة المجتمع
وتوضح برنامج سعادة الإنسان في
الدارين تناولها الشيخ أكرم بركات
على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في
الضاحية الجنوبية لبيروت ثم ألبسها
ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك
عسى أن تكون محلاً للقبول.**

مقدِّمة المؤلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيّد بني البشر محمّد وآله الطاهرين.

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات مركَّزة، حول كيفيّة رجوع الإنسان العاصي ربَّه إلى طهارته ونقاوته التي خلقه الله عليها، ببيانٍ عالجَ الموضوع من جوانبَ شتّى، ودخل في تفاصيل تحصيل هذه الطهارة، بشكل عمليّ لا نظريٍّ فقط، فتناول التوبة أركاناً وشروطاً، ثمَّ عرض أعمالاً، وردَ عن لسان أهل العصمة عليهم السلام أنَّها تُخرِج الإنسان من الذنوب، وتُرجعه كيوم ولدته أُمُّه. ثمّ كان التركيز على موضوع الحجّ الذي يحمل الأسرار العظيمة، والآثار الكبيرة التي ترقى بالإنسان في مدارج الكمال، بعد أن تُرجعَ قلبه طاهراً كيوم الولادة.

وكنت قد ألقيت هذه المحاضرات في شهر رمضان المبارك، عام ١٤٢١هـ في مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف في بيروت، وألحَّ عليَّ أخوة أحبَّاء في أن أصيغها كتابة ليُستفادَ منها بشكل أوسع، فقمت بكتابتها في عُجالة من الأمر نتيجة الانشغال، راجياً المولى تعالى أن يجعلها موضعاً لاستفادة الناس ومحلًّا لقبوله ونيل كراماته، إنّه سميع مجيب الدّعاء.

الشيخ أكرم بركات

كيف

تَرجعُ كما ولدَتكَ أُمُّك؟

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعزّ المرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمّد وآله الطاهرين.

القلب الأبيض

يولد الإنسان وقلبه كالصفحة البيضاء طاهراً ناصعاً غير ملوَّث بالذنوب ولا مدنَّس. وأحبَّ الله تعالى أن يُبقيَ الإنسانُ قلبَه بهذه الطهارة القلبيّة، وهذا النقاء المعنويّ، ورفع من شأن هذا القلب واعتبره مَسْكناً له.

قلبُ المؤمن بيتُ الله

فقد ورد أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه داود عليه السلام «**فرّغ لي بيتاً أسكنْ فيه، فقال** عليه السلام **يا ربّ، إنّك تَجِلّ عن المسكن، فأوحى إليه: فرّغ لي قلبَك**»[(١)].

ونفس المُفاد ورد في حديث قدسيّ قال فيه تبارك وتعالى: «**لا تَسَعُني أرضي ولا سمائي، ولكنْ يسَعُني قلبُ عبديَ المؤمن**»[(٢)].

---

(١) التستري جعفر، الخصائص الحسينيّة، تحقيق الحسيني، (لا، ط)، قم، منشورات أنوار الهدى والاعتصام، (لا، ت)، ص٢٩٦.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وعصى الإنسان فسوَّد قلبَه

لكنّ أكثر الناس لم يحافظوا على نقاوة قلوبهم وصفائها، فعصَوْا ربَّهم، فإذا بنقاط المعاصي السوداء تنتشر في صفحة القلب البيضاء، وهذا ما حذّر منه أهلُ العصمة عليهم السلام.

فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا أذنبَ العبدُ نكتَتْ في قلبه نُكتة سوداء»**[١]. إنّه الرَّيْنُ الذي أخبر عنه قرآننا الكريم **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٢].

آثار المعاصي على القلب

وللذنوب آثار وخيمة على قلب الإنسان، ومن تلك الآثار:

١. قساوة القلب

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ما جفَّت الدموع إلاّ لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلاّ لكثرة الذنوب»**[٣].

٢. انقلاب القلب

فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«كان أبي يقول: ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة، إنّ القلبَ ليواقعُ الخطيئة، فما تزال به حتى تغلِبَ عليه، فيصيرَ أسفلُه أعلاه وأعلاه أسفلَه»**[٤].

---

(١) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ط٣، بيروت، منشورات الدار الإسلاميّة، ١٩٨٥م، ج٨، ص٢٣٦.

(٢) سورة المطفّفين، الآية ١٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٣، بيروت ، منشورات مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م، ج٧٠، ص٥٥.

(٤) المصدر السابق، ص٥٤.

٣. حرمان القلب

وتحرم الذنوبُ القلبَ من النظر إلى كرامات الله تعالى، فقد ورد في الحديث النبويّ: «**لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت**»[١].

إنّه الحرمان من ضياء نظر القلوب الذي كان يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته: «... **إلهي هَبْ لي كمال الانقطاع إليك وأَنِرْ أبصارَ قلوبنا بضياء نظرها إليك. حتى تخرُقَ أبصارُ القلوب حُجُبَ النور، فتصلَ إلى معدنِ العظمة، وتصيرَ أرواحنا معلَّقةً بعزِّ قدسك**»[٢].

آثار الذنوب في دعاء كُميل

وإضافة إلى آثار المعاصي على قلب الإنسان فإنّ لها آثاراً أخرى ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه المعروف بدعاء كُميل، ونحن نذكرها هنا تباعاً:

١. اللَّهمَّ اغفر ليَ الذنوبَ التي تَهْتك العِصَم

العِصَم من العصمة وهي المَنْعة، فمن الذنوب ما له أثر إزالة مناعة العبد من الوقوع في الحرام، فما هي هذه الذنوب التي تكون سبباً لمناعة الإنسان المعنويّة من الوقوع في المحرَّمات؟!

رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّها: «**شرب الخمر، واللَّعِب**

---

(١) المصدر السابق، ص٥٩، وفي جامع السعادات للنراقي، ج١، ص٤٢، «يحرمون إلى».

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٤، ص٩٩.

بالقمار، وفعلُ ما يضحك الناس من المُزاح واللَّهْو، وذكر عيوب الناس، ومجالس أهل الرِّيَب»[١].

٢. اللَّهمَّ اغفِرْ ليَ الذنوبَ التي تُنزِلُ النِّقَم

النِّقَم جمع نِقمة وهي العقوبة. فمن الذنوب ما يكون سبباً لإنزال العقوبة الإلهيّة على الإنسان.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام تَعدادٌ لهذه الذنوب وهي: **«نقضُ العهد، وظهورُ الفاحشة، وشيوعُ الكذب، والحُكمُ بغير ما أنزل الله، ومنعُ الزكاة، وتطفيفُ الكَيْل»**.

وقد نقل الإمام الصادق عليه السلام -بعد تعداد هذه الذنوب- حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه: «خَمْسٌ بِخَمْس»، قالوا: يا رسول الله، ما خمسٌ بخمس؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

- **«ما نقَضَ قومٌ العهدَ إلاّ وسلّط الله عليهم عدوَّهم.**
- وما ظهرت عنهم الفاحشة إلاّ وقد فشا فيهم الموت.
- وما شاع فيهمُ الكذب والحُكم بغير ما أَنزلَ الله إلاّ وقد فشا فيهم الفقر.
- وما منعوا الزّكاةَ إلاّ حُبس عنهم القَطْر.
- وما طفَّفوا الكيْلَ إلاّ مُنعوا النباتَ، وأُخذوا بالسّنين»[٢].

---

(١) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق الحسيني، ط٢، بيروت، منشورات مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م، ج٦، ص١١٦، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢٧٥.

(٢) بحر العلوم، عزّ الدين، أضواء على دعاء كميل، ط١، بيروت، منشورات دار الزهراء، ١٩٨٣م، ص١٢٦.

٣. اللَّهمَّ اغفر ليَ الذنوب التي تُغيِّر النِّعَمَ

النِّعم جمع نِعمة وهي ما تفضَّل اللّه به على عبده، من الرزق والعافية وغيرهما. فبعض الذنوب تُزيل هذه النِّعم.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**... فما زالت نعمة ولا نضارةُ عيش إلاً بذنوب اجترحوها، إنّ الله ليس بظلّام للعبيد**»[١].

وكأمثلة لهذه النّعم التي قد يُحرَم منها المذنب تعرَّضتِ الروايات لما يلي:

❖ زوال العلم

فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**اتقوا الذنوب، فإنَّها ممحقة للخيرات، إنّ العبد ليذنب الذنب فيُنسى به العلمَ الذي كان قد عَلِمه**»[٢].

❖ حرمان قيام الليل

ففي نفس الرواية السابقة: «**وإنّ العبد لَيذنبُ فيُمنَعُ به من قيام الليل**»[٣].

❖ حرمان الرزق

ويُكمل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإنّ العبد لَيذنبُ فيُحرمُ به الرّزقَ، وقد كان هنيئاً له**»[٤].

---

(١) الري شهري محمدي، ميزان الحكمة، ج٣، ص٤٦٥.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٧٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

فما هي تلك الذنوب التي لها هذه الآثار؟

يحدّدها الإمام الصادق عليه السلام بالتالي: «**تَرْك شكر المُنعِم، الافتراء على الله والرسول، قَطْع صِلة الرَّحِم، تأخير الصلاة عن أوقاتها، الدياثة، وترك إغاثة الملهوفين المستغيثين، وترك إعانة المظلومين**»(١).

وكتطبيق لهذا المضمون ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحمن لَتَذَرانِ الديارَ بلاقعَ من أهلها**»(٢).

والبَلاقعُ، في اللغة، من البلقع، وهي الأرض القَفْر(٣).

٤. اللّهمَّ اغفر ليَ الذنوبَ التي تحبس الدعاء

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الذنوب «**التي تَرُدّ الدعاء وتُظلم الهواء عُقوقُ الوالدين**»(٤)، و«**... سوءُ النيّة، وخبثُ السريرة، والنّفاقُ مع الإخوان، وتركُ التصديق بالإجابة، وتأخيرُ الصلوات المفروضات حتى تَذهبَ أوقاتُها، وتركُ التقرُّب إلى الله عزَّ وجلَّ بالبِرّ والصدقة، واستعمالُ البَذاء والفحش في القول**»(٥).

---

(١) بحر العلوم، عزّ الدين، أضواء على دعاء كميل، ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٩.

(٣) المنجد في اللغة، ط ٣٥، بيروت، منشورات دار المشرق١٩٩٦، ص٤٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٢٧٣.

(٥) المصدر السابق، ص٢٧٦.

٥. اللَّهمَّ اغفِرْ ليَ الذنوبَ التي تُنزِلُ البلاء

وقد ورد عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ هذه الذنوب هي «**تركُ إغاثة الملهوفين، وتركُ معاونة المظلوم، وتضييعُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[١].

وفي بعض الأخبار أنّها سبع: «**الشِّركُ بالله، وقَتْلُ النفس التي حرَّم الله تعالى، وقذفُ المُحصنة، وأكلُ مالِ اليتيم ظلماً، والزنا، والفرارُ من الزحف، والسَّرِقة**»[٢].

٦. اللَّهمَّ اغفر ليَ الذنوب التي تقطع الرّجاء

والذنوب التي تقطع الأمل برحمة الله تعالى هي - كما عدّدها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ - «**اليأسُ من روح الله، والقنوطُ من رحمة الله، والثقةُ بغير الله، والتكذيبُ بوعد الله عزَّ وجلَّ**»[٣].

هذه جملة من آثار الذنوب التي تسوِّد قلب الإنسان ليصبح مريضاً مرَضَ روحٍ لا جسد، مرَضَ قلبٍ لا جسم، تُرى أين الطبيب؟!!

طبيب القلب

إنّه الله تبارك وتعالى، فهو الطبيب الحقيقيُّ الذي علَّمنا في قرآنه أن نقول ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[٤]. وإنّه الله جلّ وعلا الذي علمنا نبيُّه الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن ندعوه قائلين: «**يا طبيبَ القلوب، يا منوّرَ القلوب، يا أنيسَ القلوب**»[٥].

---

(١) بحر العلوم، عزّ الدين، أضواء على دعاء كميل، ص١٣٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٧٦.
(٤) سورة الشعراء، الآية ٨٠.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٤، ص٣٨٥.

دواء القلب

ولله دواء خاصّ في علاج أمراض القلب أخبرنا عنه بقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

واصف الدواء

لكنّ هذا الدواء لا يُحسِنُ توصيفَه إلاّ أطباء فهموا سرَّ الدواء وأدركوا معانيَه الجليلة، إنّهم الراسخون في العلم، إنهم أصحاب الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[(٢)].

من هم هؤلاء الراسخون في العلم أطباء القلوب؟

يجيب الإمام الباقر عليه السلام: «**رسولُ الله أفضلُ الراسخين**»[(٣)].

ويكمل الإمام الصادق عليه السلام الجواب بقوله: «**الراسخون في العلم هم آلُ محمّد**»[(٤)].

ويقول: «**نحن الراسخون في العلم، فنحن نعم تأويله**»[(٥)].

من هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام يصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**طبيبٌ دوَّارٌ بطبِّه، قد أحكمَ مراهمَه، وأحمى مواسمَه، يضع ذلك حيث الحاجةُ إليه، من قلوبٍ عُمْيٍ، وآذان صمّ، وألسنة بُكْم، متتبِّعٌ بدوائه مواضعَ الغفلة، ومواطنَ الحَيْرة**»[(٦)].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، تحقيق المحلّاتي، طهران، منشورات المكتبة العلمية، ج ١، ص١٦٤.

(٤) المصدر السابق، ص١٦٣.

(٥) المصدر السابق، ص١٦٤.

(٦) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٠٨، أنظر: نهج البلاغة الملحق بالمعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة إعداد محمدي ودشتي، منشورات نشر الإمام علي عليه السلام، قُمّ، ص٥٢.

نداء مريض لأطبّاء القلب

وينادي مريض الروح والقلب محمّداً وآل محمّد ﷺ شاكياً آثار الذنوب التي سوَّدت قلبه، ويسأل ما هو العلاج؟!!

جواب محمّد ﷺ وآله عليهم السلام

ويجيب محمّد ﷺ محدِّداً الدواء: «**التوبة تَجُبّ ما قَبْلَها**»(١).

ويجيب عليّ عليه السلام قائلاً: «**التوبة تطهِّر القلوب وتغسل الذنوب**»(٢).

ويبيِّن الحسين عليه السلام لائحة أدويةٍ لمريض جاءه طالباً العلاج في هذه القصَّة الجميلة.

مريض في مشفى الحسين عليه السلام

فقد ورد أنّ رجلاً تكرَّرت منه المعاصي، وكلّما حاول التوبة غلبته نفسه، فالتفت إلى مرضه وبحث عن الطبيب، فإذا به يجده عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فجاءه قائلاً:

ـ يا ابن رسول الله، إنّي مُسرِفٌ على نفسي، فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً أو مستنقذاً.

ـ قال الحسين عليه السلام: «**إن قبلتَ منّي خمسَ خصال فقدَرْتَ عليها لم تَضُرَّكَ المعصية**».

ـ قال الرجل: جاء الفرج.

---

(١) الريشهري، محمدي، محمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٥٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا أردت أن تعصي الله عزَّ وجلَّ فلا تأكل رزقه**».

قال الرجل: كيف؟ إذاً من أين آكل، وكلُّ ما في الأرض رزقه؟!

قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أفيحسُنُ بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟!**»

قال الرجل: لا بأس، هاتِ الثانية، فربّما كانت فرجاً ومخرجاً.

قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا أردت أن تعصيَه فلا تسكن شيئاً في بلاده**».

قال الرجل: يا سبحان الله! هذه أعظم من تلك، فأين أسكن. وله المشرق والمغرب وما بينهما؟!

قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا هذا، أَيليقُ بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟!!**»

قال الرجل: لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بالله، هاتِ الثالثة، فربّما كانت أهونَ الثلاث.

قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا أردت أن تعصيَه فانظرموضعاً لا يراك فيه، وهناك افعل ما شئت**».

قال الرجل: ماذا تقول؟! ولا تخفى على الله خافية.

قال الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أتأكل رزقه وتسكن بلاده ثمّ تعصيه، وهو بمرأى منك ومسمع؟!**»

قال الرجل: هاتِ الرابعة، وإلى الله المشتكى.

قال الحسين عليه السلام: **«إذا جاءك ملَكُ الموت ليقبض روحك فقل له أخّرني حتى أتوب»**.

قال الرجل: لا يقبل منّي ذلك.

قال الحسين عليه السلام: **«أكرِهْهُ على القبول»**.

قال الرجل: كيف؟! ولا أملك لنفسي معه شيئاً!

قال الحسين عليه السلام: **«إذا كنت لا تقدر أن تدفعه عنك فتُب قبل فوات الأوان»**.

قال الرجل: علي أيّ حال بقيت الخامسة فهاتِها.

قال الحسين عليه السلام: **«إذا جاء الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى الجحيم فلا تذهب معهم»**.

فقال الرجل: **حسبي حسبي، أستغفر الله وأتوب إليه، ولن يراني بعد اليوم في ما يكره**[1].

عرف هذا الرجل من هو وإلى من يتوب، فتاب إلى الله تعالى.

معنى التوبة

إذاً التوبة هي العلاج، فما هو معناها؟

والجواب من إمام المتّقين عليّ عليه السلام إذ يقول: **«التوبة ندم بالقلب، واستغفار باللّسان، وترك الجوارح، وإضمارُ أن لا يعود»**[2].

---

(١) أنظر: هاشم معروف، عبد الواحد، الحسني، سيرة الأئمّة الإثني عشر، قم، منشورات الشريف الرضي، (رواه مع تغيير يسير)، ج٢، ص٣٥ـ٣٦.

(٢) آمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم،ط، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، ص١٩٤.

فلكي يتوب الإنسان إلى الله لا بدّ أن يحقّق أربعة أركان:

الأوّل: أن يشعر بالندم من صميم قلبه.

الثاني: أن يحرِّك لسانه ليتفاعل مع قلبه بحركة الاستغفار فيقول: (استغفر الله ربّي وأتوب إليه).

الثالث: أن يترك الحرام الذي سوَّد قلبه.

الرابع: أن يصمِّم تصميماً جادّاً وحازماً على أنّه لن يعود إلى الآثام والمعاصي، بل سيحافظ على طهارة القلب ونقائه.

هل يقبل الله توبة عبده؟

تُرى هل يستحقُّ العبد المذنب من الله قبولَ التوبة؟

الجواب بلغة العدل: كلّا.

لكنّ لغة الرحمة الإلهيّة تغلب لغة العدل وتفاجئنا لا في قبول التوبة فحسب، بل في رفع مقام التائب إلى الله إلى مرتبة المحبّة، إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[(١)].

فرحة الربّ بتوبة العبد

وأخبرنا أهل العِصْمة عليهم السلام عن فرحة الله بتوبة عبده.

فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: **«الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضالّ الواجد، ومن الظمآن الوارد»**[(٢)].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنّ الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلتَه في ليلة ظلماءَ فوجدها»**[(٣)].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٢) الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج١، ص٥٤.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تعليق الغفاري، منشورات دار الأضواء، بيروت، ج٢، ص٤٣٥.

باب التوبة

وفتح الله باب التوبة لأحبائه بأوسع ما يمكن أن يُتَصَوَّر، فعن النبي الأكرم ﷺ: **«من تاب قَبْل موته بسنة قَبِل الله توبته، ثم قال: إنّ السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قَبِل الله توبته، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبِل الله توبته، ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثمّ قال: إنّ اليوم لكثير، من تاب قبل أن يُعايِنَ قبل الله توبته»**[١].

ومعنى التوبة قبل المعاينة أي قبل معاينة الموت، قبل أن يعرف الإنسان أنّه سيموت وإلاّ فلا تنفعه التوبة، بل يكون مصيره كمصير فرعون حين أعلن إيمانه بربّ موسى وهارون بعد أن أحاطت به أمواج البحر.

نعم، كلّ هذا حقّ، لكنّ للتوبة شروط، فما هي؟!!

شروط التوبة

رُوي في نهج البلاغة أنّ قائلاً قال، بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام: أستغفر الله، فقال له عليه السلام: **«ثكلتك أُمُّك! أتدري ما الاستغفار؟! إنّ الاستغفار درجةُ العِلّيين وهو اسم واقع على ستة معان:**

أوّلها: الندم على ما مضى.

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٥.

الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدّيَ إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه ليس عليك تَبعة.

الرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيَّعتها فتؤدّيَ حقَّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللّحم الذي نبت على السُّحت فتذيبَه بالأحزان حتى تُلصِقَ الجلد بالعظم وينشأَ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: أستغفر الله»[١].

وقد مرّ التعرّض للمعنيين الأوّلين (الندم والعزم) فلنستعرض المعنى الثالث.

الثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم

فعلى التائب أن ينظر إلى حقوق الآخرين عليه. وهي على نوعين: حقوق أوجبها الله تعالى على الإنسان بالأصل كحقّ الأمّ والأب والزوجة، وحقوق أوجبها الله تعالى على الإنسان لأنّه تعدّى على الآخرين بظلم فأراد الله أن تُرَدَّ المظلمة.

١ . حقوق الآخرين بالأصل

ولن نتناول هذه الحقوق بالتفصيل لكن نشير بشكل مختصر إلى حقَّين منها، وهما حقّ الأب والأمّ.

---

(١) نهج البلاغة، خطب الامام علي، تحقيق محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ، ج٤، ص٩٨.

حقُّ الأب

أمّا حقُّ الأب فهو طاعته في غير المعصية، فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... **فحقُّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء إلاّ في معصية الله سبحانه**»[١].

وعن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أمّا حقُّ أبيك فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك**»[٢].

حقُّ الأمّ

أمّا حقّ الأمّ فهيهات أن يستطيع الإنسان تأديته بشكل كامل؛ فهي التي عانت في حمله في أحشائها تسعة أشهر، وأعطته كلّ عاطفتها واهتمامها، فسهرت لينام، وتعبَتْ ليرتاح، ومرضت ليشفى.

يقول الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**فحقُّ أُمّك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يَحملُ أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يُطعِم أحدٌ أحداً، وأنها وقَتْك بسمعها وبصرها، ويدها ورجلها وشعرها وبشرها، وجميع جوارحها مستبشرة فرحة، محتملة لما فيه مكروهُها وألمُها وثِقلُها وغَمُّها، حتى دفعتها عنك يدُ القدرة، وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوعَ هي،**

---

(١) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج١٠، ص٧١٨.

(٢) القبانجي، حسن، شرح رسالة الحقوق، ط٢، بيروت، منشورات دار الأضواء، ١٩٨٦، ج١، ص٥٦١.

وتكسوك وتعرَى، وترويك وتَظْمَى، وتُظلّلك وتضحى، وتُنَعِّمَك ببؤسها وتُلَذِّذَك بالنوم بأرَقِها، وكان بطنها لك وعاء، وحجرُها لك حِواء، وثديُها لك سِقاء، ونفسُها لك وِقاء، تباشر مَرَّ الدنيا وبرْدَها لك ودونك، فتشكرَها على قدر ذلك ولا تقدرُ عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه»[1].

فإذا كانت هذه هي الأمَّ فكيف يُؤدَّى حقُّها.

يقول نبيُّنا الأكرم ﷺ: **«حقّ الوالد أن تطيعه ما عاش، وأمّا حق الوالدة فهيهات! هيهات! لو أنّه عَدَدُ رمل عالِج، وقطْرُ المطر أيّامَ الدنيا قام بين يديها، ما عَدَلَ ذلك يوماً حملته في بطنها»[2].**

من هنا كان بِرّها محلًّا لتوبة الله على عبده، فقد ورد أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله: ما من عمل قبيح إلاّ وقد عملتُه، فهل لي من توبة؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«فهل من والديك أحد حيٌّ؟»** قال: أبي، قال: فاذهب فبِرَّه. فلما ولَّى قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت أُمُّهُ»[3].**

حقّ الوالدين بعد وفاتهما

ولا يقتصر هذا البرُّ للوالدين في حال حياتهما، بل يستمرّ بعد موتهما بأن يستغفر الولد لوالديه ويقضي دَيْنَهما ويتصدّق ويحِجّ ويصوم، ويصلّي عنهما.

---

(١) المصدر السابق، ص٥٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص٥٤٨.

(٣) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج١٠، ص٧١٤.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما يمنعُ الرجلَ منكم أن يبِرّ والديه حيَّيْن أو مَيْتَيْن، يصلّي عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحج عنهما، ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله ببِرّه وصلاته خيراً كثيراً**»(١)، بل إنّ البِرَّ بالوالدين بعد الوفاة قد يصحّح موقف العاقّ، والعكس صحيح فإنّ قطع البِرّ بهما - بعد موتهما - قد يحوّل البارَّ إلى عاقّ.

وهذا ما حدّثنا عنه إمامنا الباقر عليه السلام في قوله: «**إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما ثمّ يموتان، فلا يقضي عنهما دَيْنهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عزَّ وجلَّ عاقًّا، وإنّه ليكون عاقًّا لهما في حياتهما، غير بارٍّ بهما، فإذا ماتا قضى دَيْنهما، واستغفر لهما، فيكتبه الله عزَّ وجلَّ بارّاً**»(٢).

وقد تفضّل الله تعالى على الوالدين بأن جعل عمل الولد الصالح يَرفِد عليهما في قبريهما الخير الذي قد يُغيِّر فيه المصير.

وهذا ما حدَّثنا عنه النبيُّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في قصّة حصلت مع أخيه نبيّ الله عيسى عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**مرَّ عيسى بن مريم بقبر يعذَّب صاحبُه، ثمّ مرَّ به من قابلٍ فإذا هو ليس يعذَّب فقال: يا ربّ، مررت بهذا القبر عام أوّلَ فكان صاحبه يعذَّب، ثمّ مررتُ به العامَ، فإذا هو ليس يُعذّب. فأوحى الله إليه: يا روح الله، إنّه أدرك له ولد**

(١) المصدر السابق، ص٧١١.
(٢) المصدر السابق نفسه.

صالح، فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فغفرتُ له بما عمل ابنُه»[١].

ولنتابع الحديث عن حقوق الآخرين التي نتجت من ظلمٍ صدَرَ عن الإنسان فجعل عليه حقًّا للآخرين.

٢. حقوق الآخرين (بسبب الظلم):

وهو الظلم الذي لا يغفره الله ما لم يسامح صاحبه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«أيّها الناس، إنّ الذنوب ثلاثة... فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو أو نخاف عليه»**. قيل: يا أمير المؤمنين فبيِّنها لنا.

قال عليه السلام: **«أمّا الذنب المغفور فعبدٌ عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا، فالله أحكم وأكرم من أن يعاقب عبده مرّتين.**

وأمّا الذي لا يغفر فمظالمُ العباد بعضِهم لبعض، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قَسَماً على نفسه فقال: وعزّتي وجلالي لا يجوز في ظلم ظالم، ولو كفٌّ بكفّ ولو مسحة بكفّ... فيقتصُّ الله للعبادِ بعضِهم من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة، ثمّ يبعثهم إلى الحساب.

وأمّا الذنب الثالث، فذنبٌ ستره الله على عبده ورَزَقه التوبة، فأصبح خاشعاً من ذنبه راجياً لربّه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب»[٢].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٠٤، ص١٠١.

(٢) شُبَّر، عبد الله، تسلية الفؤاد، منشورات الأعلمي، بيروت، ص١٦٩ - ١٧٠.

وفي حديث آخر للإمام زين العابدين عليه السلام نقله عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يصوِّر أثرَ ظُلم الآخرين بشكل يُروِّع القلبَ أشدَّ رَوْعٍ، ألا وهو:

«إذا كان يومُ القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حُفَرِهم غُرْلاً مُهْلاً جُرْداً مُرْداً في صعيد واحد تسوقُهم النار، وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر، فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها، فيُمنَعون من المُضيّ، فتشتدُّ أنفاسُهم ويكثر عرَقُهم وتضيقُ بهم أُمورُهم، ويشتدُّ ضجيجُهم وترتفعُ أصواتُهم. قال: هو أوّل هَوْل من أهوال يوم القيامة. فيُشرفُ الجبّار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه، في ظلالٍ من الملائكة، فيأمرُ ملَكاً من الملائكة فينادي فيهم: يا معشر الخلائق أَنصتوا واستمعوا مناديَ الجبّار. قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلُهم. قال: فتنكسرُ أصواتهم عند ذلك، وتخشعُ أبصارُهم وتضطربُ فرائصُهم وتفزعُ قلوبُهم، ويرفعون رؤوسَهم إلى ناحية الصوت مُهْطعين إلى الداعي[1]. فعند ذلك يقول الكافر: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[2] قال: فيشرف الله عزَّ وجلَّ ذكْرُه الحَكَمُ العدْلُ عليهم، فيقول: أنا الله لا إله إلاّ أنا الحكَمُ العدْلُ الذي لا يجور، اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يُظلَم اليوم عندي أحد، اليوم

---

(١) أي يمدّون أعناقهم لسماع صوته. مُهْطِعين أي مسرعين وأهطع إذا مدّ عنقه.

(٢) سورة القمر، الآية ٨.

آخذ للضعيف من القويّ بحقّه، ولصاحب المظلمة بالقِصاص من الحسنات والسّيئات، وأُثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبةَ اليومَ عندي ظالمٌ ولأحد عنده مَظْلمةٌ إلاّ مظلمة يهَبُها لصاحبها، وأُثيبه عليها، وآخذ له بها عند الحساب، فتلازموا أيّها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا، وأنا شاهدٌ لكم بها عليهم وكفى بي شهيداً. قال: فيتعارفون ويتلازمون، فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حقّ إلاّ لزمه بها. فيمكثون ما شاء الله، فيشتدُّ حالهم، فيكثر عرقهم ويشتدُّ غمُّهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنَّوْن المَخْلَصَ منه بترك مظالمهم لأهلها.

ويطلع الله عزَّ وجلَّ على جهدهم فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى يسمعُ آخرهم كما يسمع أوّلُهم: يا معاشر الخلائق أنصِتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا، إنّ الله تبارك وتعالى يقول لكم: أنا الوهّاب، إن أحببتم أن تُواهبوا فتَواهَبوا وإن لم تُواهبوا أخذتُ لكم بمظالمكم. فيفرحون بذلك لشدّة جُهدهم، وضيق مسلكهم، وتزاحمهم. فيَهَبُ بعضُهم مظالمَهم رجاءَ أن يتخلّصوا ممّا هُم فيه، ويبقى بعضُهم فيقولون: يا ربُّ، مظالمنا أعظم من أن نهَبَها.

قال: فينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين رضوان خازن الجِنان، جِنان الفردوس؟ فيأمر الله عزَّ وجلَّ أن يُطلِعَ من الفردوس

قصراً[١] من فضّة بما فيه من الآنية والخدم. فيُطلعه عليهم في حَفافة القصر والوصائف[٢] والخدم. فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى: يا معشرَ الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر. قال: فيرفعون رؤوسهم فكلُّهم يتمنّاه. قال: فنادى منادٍ من عند الله تبارك وتعالى: يا معشرَ الخلائق، هذا لكلّ من عفا عن مؤمن. فيعفون كلُّهم إلاّ القليل.

قال: فيقول الله عزَّ وجلَّ: لا يجوز إلى جنتي اليوم ظالم، ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم، ولأحد من المسلمين عنده مظلمة حتى يأخذها منه عند الحساب، أيُّها الخلائق استعدّوا للحساب. ثمّ يُخلي سبيلهم، فينطلقون إلى العقبة يَكْرُدُ[٣] بعضُهم بعضاً حتى ينتهوا إلى العرصة، والجبّار تبارك وتعالى على العرش، قد نُشرَت الدواوين، ونُصبَت الموازين، وأُحضر النبيّون والشهداء وهم الأئمّة، يشهد كلُّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزَّ وجلَّ ودعاهم إلى سبيل الله»[٤].

المظلمة مانعة من دخول المسجد

ولمظالم الناس أثر في قبول الله للعبادة، فالقادر على أداء حقّ الآخرين مع مطالبتهم له، وهو لا يردّه، يرفض الله تعالى دخوله

---

(١) أي يظهره لهم.

(٢) الوصائف: جمع الوصيفة أي الجارية.

(٣) الكرد: الطرد والدفع.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٠٦.

المساجد حتى يؤدّيَ ذلك الحقّ، فقد رُوي عن النبيّ ﷺ: **«أوحى الله إليّ: أن يا أخا المنذرين، يا أخا المرسلين، أنذِر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي، ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً يصلّي حتى يردَّ تلك المظلمة، فأكونَ سَمْعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يُبصر به، ويكونَ من أوليائي وأصفيائي، ويكونَ جاري مع النبيّين والصدّيقين والشهداء في الجنّة»**[١].

أنواع المظالم

وهذه المظالم نوعان: المظالم المعنويّة والمظالم الماديّة.

أ. المظالم المعنويّة

وهي الناتجة من التعرُّض للآخرين بغير حقّ بإهانة أو استحقار أو استخفاف، كما قد يحصل من صاحب السلطة مع مرؤوسيه، ومن صاحب المال مع عمّاله. وهو قد لا يكون ملتفتاً للآثار الوخيمة المترتّبة على هذا الظلم. فقد يكلِّفه أن يقف على باب الجنّة يُحرَم من دخولها ما لم يسامحه المظلوم.

من هنا دعت روايات أهل العِصْمة عليهم السلام إلى تصحيح هذا الظلم والتعويض منه، فمن كسر مؤمناً فعليه جَبْرُه.

كما حذَّرت النصوص من الاستخفاف بالآخرين، فلعلّ المُستَخَفَّ به يكون وليّاً من أولياء الله تعالى.

---

(١) التبريزي، جواد، المراقبات، بيروت، دار السلام، ص١١٦.

ب. المظالم الماديّة

وقد تنتج هذه المظالم من:

- سرقة مال الآخرين.

- غصب المال عنوة عنهم.

- إتلاف مال الآخرين، أو إحلال عيب فيه، كأن يكسر زجاجاً ليس له، أو يصطدم بسيّارة آخر فيُعيبَها.

- أو غير ذلك.

وهذه المظالم تتعلق بذمَّةِ الصغير أيضاً، فإنّه وإن كان غير مكلَّف لا يعاقبه الله على ما يفعل، لكنّه حينما يبلغ، عليه رَدُّ هذه الحقوق وضمانُها للآخرين.

كيف يُرَدُّ الحقُّ؟

وطريقة ردّ هذه الحقوق أن يتّصل بصاحب الحقّ ويعطيَه حقه، أو يسامحَه صاحب الحقّ به، وإن كان يخشى على منزلته الاجتماعيّة أو علاقته بالآخرين، فيمكن له أن يتسامح منه أو يردَّ حقّه بطريقة لا يتعرّف صاحب الحقّ من خلالها عليه كأن يقول له: «**إنّ أحد الأشخاص سرق منك مالاً ويريد ردّه أو المسامحة**»، من دون أن يحدِّد له هويّة الشخص.

ردُّ المظالم

هذا كلُّه إن كان يعرف صاحبَ الحقّ، أمّا إذا لم يكن يعرفه

ولا يمكنه التعرُّف عليه، فيجب أن يدفع مالاً للفقراء بإذن الحاكم الشرعيّ بنيَّة أنّها صدقة عن صاحب المال ويُسمَّى بـ «**ردّ المظالم**». وقيمة هذا المال يُقدَّر على أساس ما يخمِّنه من قيمة الحقّ المتعلّق بذمَّته، والاحتياط طريق النجاة، لا سيّما في موضوع حقّ الآخرين الذي قد يُكلِّف الإنسانَ وقفةً لا تُحمَد.

حساب العُود

فقد نُقِل عن خطّ الشهيد الأوّل عليه الرحمة أنّ أحمد بن أبي الحواري قال: تمنّيت أن أرى أبا سليمان الداراني إلى أن رأيته في النوم بعد سنة، فقلتُ له: يا معلِّم، ما صنع الله تعالى بك؟

فقال: يا أحمد، دخلت ذات مرّة من الباب الصغير، فرأيت حِمْلَ جَمَلٍ من نبتة «الشيح» فأخذت عوداً منه لا أدري خَلَّلْتُ به أسناني أم لا ثمّ رميته.. وأنا منذ سنة وإلى الآن مبتلى بحسابه.

وعلَّق الشيخ عبّاس القُمّي قدس سره على هذه القصّة بقوله: «**لا بُعد في هذه الحكاية، بل تُصدِّقها الآية الشريفة: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾**».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: «**أليست النفوس عن مثقال حبّة من خردل مسؤولة؟**»[1].

(١) القُمّي، عباس، منازل الآخرة، ترجمة كوراني، منشورات دار الكتاب الإسلامي، قُمّ، ص١٣٧.

ونتابع حديث أمير المؤمنين عن الشرط الرابع للاستغفار الصحيح والتوبة الحقيقيّة:

الرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيَّعتَها فتؤدّي حقَّها، فمن شروط التوبة إلى الله تعالى قضاء الحقوق الإلهيّة وهي الفرائض التي ضيَّعها بجهالته، وهَهنا نذكر أمثلة لهذه الفرائض المضيَّعة:

١. الصلاة اليوميّة

فعليه أن يُحصي ما فاته من الصلوات من سنِّ البلوغ، في ضوء هذا الإحصاء يرتّب برنامجاً لقضائها بحيث لا يتهاون بهذا البرنامج.

وننصح هنا أن يكون برنامج القضاء مكتوباً في دفتر خاصّ بحيث تحصل الدقّة في القضاء ويتجنّب من خلاله النسيان المُربك، ويَجمَعُ في هذا الدفتر إضافة إلى الصلاة، الحقوق الأخرى الواجبة عليه، وسيأتي بيان بعضها، كما ننبّه على مراعاة الأمور التالية، في قضاء الصلوات اليوميّة:

- أن يلتفت إلى أنّه ربّما يكون عليه قضاء صلاة قَصر بسبب سفره في بعض الأوقات فيخمّن كم عليه من قضاء هذه الصلوات اليوميّة.

❖ إنْ شكَّ التائب بعدد الصلوات الفائتة كأن يشكَّ في كونها ٥ سنوات أو ٦ سنوات، فهنا يجوز له أن يبني على الأقلّ ويقتصر في قضاء خمس سنوات، إلاّ أنّ هذا الحكم ظاهريٌّ يخالف الاحتياط، لذا ينبغي أن يقضي الفترة الأطول المحتملة ليكون تائباً إلى الله حقّاً.

❖ أن يتنبّه إلى بعض أحكام الصلاة التي قد تكون مجهولة عنده، فقد يكون التائب قد صلّى سابقاً لكنّه لم يلتفت إلى بعض ما وجب عليه ممّا يتعلّق بالصلاة كسجدتي السهو فلا بدَّ أن يتعلّمها ليؤدّيها عن الصلوات السابقة في حال حصول ما يوجب السهو فيها، فإنّ سجدتي السهو تبقى في ذمته، فينبغي الإتيان بها بعدد يطمئنّ من خلاله إلى أنّه لم يبق في ذمّته شيء منها.

٢. صلاة الآيات

فعلى التائب أن يحسب ما عليه من صلاة الخسوف والكسوف والزلازل ليؤدّيها على النحو الذي ذكرناه في الصلوات اليوميّة، فإنّها من الفرائض التي قد يكون التائب قد تعمّد تركها وأضاعها.

٣. الصوم

وكما عمل التائب في الصلاة عليه أن يفعل في الصيام فيحسب ما عليه من الصوم، ليُدخله في برنامج توبته.

وهنا نلفت أيضاً إلى أمر مهمّ وهو أنّ على التائب أن يتنبّه إلى أنّ قضاء الصوم له توابعه.

فأوّلاً: عليه أن يدفع بسبب تأخير القضاء بما تجاوز السنة ما يُسمّى بفدية التأخير وهي عبارة عن مُدّ من الطعام، كالخبز والطحين، أي ثلاثة أرباع كيلو غرام عن كلّ يوم فاته.

ثانياً: عليه في حال الإفطار عن عمد بدون عذر شرعيّ أن يؤدّي كفّارة لله تعالى عن إفطاره، وهي إمّا أن يصوم عن كلّ يوم شهرين، يواصل فيهما الصوم مقدار ٣١ يوماً متتابعاً من دون فصل، ولا بأس بالتفريق بالأيّام الباقية، وإما أن يُطعم ستين مسكيناً، كلّ مسكين مُدًّا من طعام أي ثلاثة أرباع الكيلو (أي عن كل يوم ٤٥ كلغ توزع على ٦٠ مسكيناً).

ثالثاً: فإذا كان قد أفطر على حرام بأن كان أوّل شيء فعله في يوم الصوم هو مفطرٌ حرَّمه الله تعالى كشرب الخمر والزنا ـ والعياذ بالله ـ فعليه أن يجمع بين صيام ستين يوماً وإطعام ستين فقيراً، على ما يحتاط به بعض الفقهاء[1].

٤ ـ أداء الفرائض الماليّة

وهي ما فرضه الله تعالى في أموال الناس ومنها:

أ ـ زكاة الأموال

وقد ورد أنّ الزكاة لا تقبل من مانعها، وأنّ من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهوديّاً أو نصرانيّاً، وينحصر وجوبها بمن يملك من الزرع قمحاً أو شعيراً أو تمراً أو زبيباً.

---

(١) وإن كان بعض الفقهاء يكتفي بواحد منها.

ومن الحيوانات غنماً وبقراً وإبلاً.

ومن الذهب والفضة النقدين المسكوكين بسكّة المعاملة.

ولا يكون على مالك هذه الأشياء زكاة إلاّ إذا بلغت حدّاً ونصاباً شرعياً قد بُيِّن في كتب الفقه.

فإذا أراد الإنسان التوبة النصوح فعليه أن يؤدّي هذه الزكاة إن وجبت عليه.

ب. زكاة الفطرة

وتُسمَّى زكاة الأبدان.

وهي الصدقة الواجبة بعد شهر رمضان، فقد يكون الإنسان في ماضيه المنحرف غافلاً عنها لا يؤدّيها إلى أصحابها الفقراء، فحينما يتوب لا بدَّ أن يلتفت إلى حساب ما عليه منها لإيصالها إلى الفقراء.

ج. الخمس

وهو المتعلّق بما يملك الإنسان من أموال مرَّ عليها عام في ملكه على تفصيل مذكور في الرسائل العمليّة.

فحتى تكون التوبة نصوحاً والاستغفار حقيقيّاً عليه أن يؤدّي عشرين في المئة من ماله الذي يجب فيه الخمس وأن لا ينصت إلى وسوسات إبليس التي تحبط من عزيمته.

والواقع أنّ ما يدفع الإنسان إنما هو من مال الله وليس من ماله

هو، فالمال وديعة عند الإنسان من الله تعالى أراد أن يستردّ منها خمسها وعلى الإنسان أن يكون أميناً في ردّ جزء من أمانة الله.

ومن لطيف ما يُحكى في هذا الموضوع أنّ أحد العلماء من بلاد إيران ذهب لزيارة الجالية الإيرانيّة المسلمة في الهند، وهناك وأثناء إلقاء كلمة عليهم حكى لهم هذه القصّة.

هناك رجل مسلم من إيران يعيش هنا في الهند وأهله يعيشون في إيران فأراد أن يرسل إليهم عشر روبيّات (عملة الهند) مع أحد المسافرين إلى إيران، فأعطاه العشرة وقال له:

خذ منها روبيّتين، واعطِ أهلي ثمانياً، فتعجّب المسافر من ذلك، ورفض في البداية، ولكنّه قَبِل عند إصرار صاحبه، ثمّ قال له الرجل: خذ لك أربعاً وأعطِ أهلي ستَّ روبيّات، فازداد تعجُّب المسافر الذي رفض بدايةً ثمّ قَبِل نتيجة الإصرار.

ثمّ قال له الرجل: خذ لك منها ستّ روبيّات وأوصل إلى أهلي أربَعاً. فاشتدّ تعجّب المسافر، لكنّه قَبِل في نهاية الأمر، ثمّ قال له الرجل: خذ لك منها ثمانيَ روبيّات وأوصل إلى أهلي روبيّتين فقط. استغرب المسافر الأمر أشدّ الاستغراب وتعجَّب له شديد التعجّب، لكِنّه قَبِل به لإصرار صاحبه، وسافر إلى إيران.

ثمّ سأل العالِم هذا السؤال: لكنّ الذي حصل أنّ المسافر أخذ كلّ العشرة، ولم يعطِ لأهل مالكها شيئاً منها، فما رأيكم به؟!!!

فأخذ الجميع يذمّ ذلك الرجل ويشتمه على هذه الخيانة العظيمة

للأمانة. هنا تدخّل العالم وقال لهم: من لم يخمِّس ماله للّه فهو مثله، أعطاه اللّه عَشْراً وقال له: لك منها ثمانٍ واردُد اثنتين إلى أهلي، لكنّه خان الأمانة وأخذها كلَّها!!!

هذه نماذج عن الفرائض التي قد يكون الإنسان ضيَّعها في حياته السابقة، فإذا تاب إلى اللّه لا بدَّ له أن يؤدّي حقّها ليحقّق الركن الرابع من أركان التوبة النَّصوح، في حديث أمير المؤمنين عليه السلام.

ولنتابع مع عليّ عليه السلام الرُّكنَ الخامس من أركان التوبة الحقيقيّة.

الخامس: أن تعمد إلى اللّحم الذي نبت على السّحت فتذيبه بالأحزان حتى تُلصِقَ الجلدَ بالعظم، وينشأَ بينهما لحم جديد.

السُّحْتُ هو المال الحرام الذي يدخل على الإنسان، ومن أمثلته ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «**السُّحْت ثمن الميتة، وثمن الكلب، وثمن الخمر، ومَهر البغيّ، والرِّشوة في الحكم، وأجر الكاهن**»[1].

فإذا كان الإنسان العاصي في ماضيه قد أكل السُّحت فنبت لحمه عليه فشرطُ توبته في حديث أمير المؤمنين عليه السلام أن يذيب هذا اللّحم النابت على الحرام بحزنه على ما فات وقصَّر فيه حتى يلصقَ الجلد بالعظم، ثمّ بعد ذلك ينشأ لحم جديد نبت على طاعة

(١) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج٦، ص٤٠٦.

الله سبحانه وتعالى.

أمّا الركن السادس من أركان التوبة والشرط الأخير من شروط الاستغفار الحقيقيّ فهو ما عبَّر عنه الإمام عليّ عليه السلام بقوله:

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

يشير أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه هذا إلى أنّ الاستغفار الحقيقيّ لا بدّ أن يتناسب مع حجم ما فعله الإنسان من ذنب وجرم أمام الله تعالى، فندَمُ القلب واستغفارُ اللسان وإن كانا مهمَّين إلاّ أنّهما لا يكفيان في التوبة النَّصوح، لا سيَّما في الذنوب الكبيرة التي اقترفها الإنسان في حياته، فحينما يكون الذنب كبيراً لا بدّ أن تتناسب التوبة معه، ولن أطيل كثيراً في بيان هذا الأمر، بل سأترك بيانه لقصّة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع شابّ تاب بعد معصية خطيرة، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله هل تُقبل توبته؟

فماذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

فلنتابع معاً هذه القصّة

دخل مَعاذُ بن جبل ذات مرّة على رسول الله باكياً، فسلَّم فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما يُبكيك يا معاذ؟ قال: إنّ بالباب شابّاً طريّ الجسد، نقي اللون حسن الصوت يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أَدخِل

عليّ الشابّ يا معاذ، فأدخله عليه فسلَّم عليه فردّ عليه السلام ثمّ قال: ما يُبكيك يا شابّ؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزَّ وجلَّ ببعضها أدخلني نار جهنّم؟! ولا أراني إلاّ سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً!!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل أشركت بالله شيئاً؟

قال: أعوذ بالله أن أُشرِك بالله شيئاً!

قال صلى الله عليه وآله وسلم: أقتلتَ النفس التي حرَّم الله؟

قال: لا.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يغفرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي.

قال الشابّ: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يغفرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال: فإنّها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: يغفرُ الله ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسيّ.

قال: فإنّها أعظم من ذلك.

فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كهيئة الغضبان ثمّ قال: ويحك يا شابّ، ذنوبك أعظم أم ربُّك؟ فخرَّ الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان الله ربّي، ما شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيَّ الله من كلّ عظيم.

فقال النبيّ ﷺ: فهل يغفر الذنبَ العظيم إلاّ الربُّ العظيم؟

قال الشابّ: لا والله يا رسول الله، ثم سكت الشابّ، فقال النبيّ ﷺ: ويحك يا شابّ، ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟

قال: بلى أخبرك، إنّي كنت أنبش القبور سبع سنين، أُخرج الأموات وأنزِع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حُمِلَتْ إلى قبرها ودُفنَت وانصرف عنها أهلها وجَنَّ عليهم الليل أتيتُ قبرها، فنبشتُها ثمّ استخرجتُها، ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجرّدة على شفير قبرها، ومضيت مُنصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبَلَ يُزيّنُها إليّ ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما ترى وِركَيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعتُ إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها، وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شابّ، ويلٌ لك من ديّان يوم الدّين، يوم يقفُني وإيّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني، وتركتني أقوم جُنُباً إلى حسابي، فويلٌ لشبابك من النار.

فما أظنُّ أنّي أشمُّ ريح الجنّة أبداً، فما ترى لي يا رسول الله؟

فقال النبيّ ﷺ: تنحَّ عنّي يا فاسق، إنّي أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار! ثمّ لم يزل ﷺ يقول ويُشير إليه حتى أمعن من بين يديه.

فذهب فأتى المدينة فتزوَّد منها، ثمّ أتى بعضَ جبالها فتعبَّد فيها، ولبس مِسْحاً وغلَّ يديهِ جميعاً إلى عنقه ونادى:

يا ربّ! هذا عبدك بُهلول بين يديك مغلول.

يا ربّ! أنت الذي تعرفني، وأزِل منّي ما تعلم سيّدي..

يا ربّ! أصبحت من النادمين وأتيت نبيّك تائباً فطردني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تُخيِّب رجائي، سيّدي، ولا تبطل دعائي ولا تؤيِّسني من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك حتى تمت له أربعون يوماً وليلة فرفع يديه إلى السماء وقال:

اللّهمّ ما فعلتَ في حاجتي؟ إن كنتَ استجبتَ دعائي، وغفرتَ خطيئتي فأوحِ إلى نبيِّك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردتَ عقوبتي، فعجِّل بنار تُحرقُني أو عقوبة في الدنيا تُهلكني، وخلّصني من فضيحة يوم القيامة.

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ﴾، يقول عزَّ وجلَّ: أتاك عبدي يا محمّد تائباً فطردته فأين يذهب؟ وإلى من يقصد؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري؟ ثمّ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويبتسم، فقال لأصحابه: من يدلّني على ذلك الشابّ التائب؟

فقال معاذ: يا رسول الله بلغَنا أنّه في موضع كذا وكذا. فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل، فصعدوا إليه يطلبون الشابّ، فإذا هم بالشابّ قائم بين صخرتين، مغلولة يداه إلى عنقه، وقد اسودَّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء. فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بُهلول أبشر، فإنّك عتيق الله من النار.

ثمّ قال لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلا عليه ما أنزل الله عزَّ وجلَّ فيه وبشَّره بالجنّة[1].

هلُمَّ نصلِّ صلاة التوبة

بعد أن عرفنا معنى التوبة وتعرَّفنا على شروطها فلنعلن لله تعالى التوبةَ النَّصوح، ولْنَشْرع بعمل علَّمَنا إيّاه نبيُّنا الأعظم ﷺ حينما خرج يوم الأحد في شهر ذي القعدة، فقال:

أيّها الناس، من كان منكم يريد التوبة؟

فأجاب المسلمون: كلُّنا نريد التوبة يا رسول الله.

فقال ﷺ: «اغتسلوا، وصلّوا أربع ركعات واقرأوها في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة، وقُلْ هو الله أحد ثلاثَ مرّات، والمعوذتين مرّة، ثمَّ استغفروا سبعين مرّة، ثمّ اختموا بـ(لا حولَ ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم)، ثمّ قولوا: يا عزيز، يا غفّار، اغفر لي ذنوبي، وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت».

---

(١) الكاشاني، الفيض، تفسير الصافي، (لا،ط)، بيروت، منشورات الأعلمي، (لا، ت)، ج١، ص٣٨٢، ٣٨٤.

ثمّ قال ﷺ: «ما من عبد من أمتي فعل هذا إلاّ نُوديَ من السماء: يا عبد الله استأنف العمل، فإنّك مقبول التوبة، مغفور الذنب. وينادي ملَكٌ من تحت العرش، أيّها العبد بورك عليك، وعلى أهلك، وذريتّك.

وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد! ترضي خصماءك يوم القيامة.

وينادي ملك آخر: أيّها العبد! تموت على الإيمان، ولا يُسلَبُ منك الدين، ويُفسح في قبرك، ويُنَوَّرُ فيه.

وينادي منادٍ آخر: أيّها العبد! يَرضَى أبواك، وإن كانا ساخطين، وغُفِرَ لأبويك ذلك، ولذريتّك، وأنت في سَعة من الرزق في الدنيا والآخرة.

وينادي جبرئيل ﷺ: أنا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام وآمره أن يرفق بك، ولا يخدِشَك أثرُ الموت، إنّما تخرج الروح من جسدك سَلّاً».

قال المسلمون: يا رسول الله! لو أنّ عبداً يقول في غير هذا الشهر؟

فقال ﷺ: «مثل ما وصفت، وإنّما علّمني جبرائيل عليه السلام هذه الكلمات إيّام أُسْرِيَ بي»[1].

إذاً فلتكن هذه الصلاةُ الفاصلَ بين القلب الذي اسودَّ بالمعاصي والقلب النقيّ الطاهر الذي رجَع كيوم وُلد صاحبُه.

---

(١) الميرزا التبريزي، السير إلى الله، تحقيق ونشر الموسوي، قُم، ص١١٥. ابن طاووس، اقبال الأعمال، منشورات دار الحجّة، ص٦١٤.

أعمال ترجِع

الإنسان كما ولدته أُمُّه

مطهِّرات القلوب

وفي مسار التوبة إلى الله يتقدّم الأطبّاء الكرام محمّد وآله عليهم السلام ليعرضوا على من سوَّد قلبه بالذنوب أعمالاً توجب رجوع قلب الإنسان طاهراً نقيّاً كيوم ولدته أُمُّه.

ونتعرّض هَاهنا لبعض الأعمال ضمن ثلاثة محاور:

أ. أعمال ترتبط بعلاقة الإنسان بالمؤمنين.

ب. أعمال ترتبط بعلاقته بأهل البيت عليهم السلام.

ج. أعمال ترتبط بعلاقته بالله تعالى.

ولنبدأ بالأوّل:

أ. مع المؤمنين

هناك جملة من الأعمال التي يُحبّها الله تعالى ترتبط بعلاقة الإنسان بالمؤمنين وَرَد أنَّها تُخرج من الذنوب، وتُرجع القلب نقيّاً، ومن هذه الأعمال:

١. السعي في حاجة مريض

فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«من سعى لمريض في حاجة قضاها أو لم يقضها، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه»**[١].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٦، ص٣٣٥.

٢. التصافح

فعنه ﷺ: «**ما تصافح أخوانِ في الله عزَّ وجلَّ إلاّ تناثرت ذنوبُهما حتى يعودا كيوم ولدتهما أمُّهما**»(١).

٣. تغسيل الموتى

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**كان في ما ناجى به موسى ربّه قال: يا ربّ، ما لمن غسَّل الموتى، فقال: أغسلُه من ذنوبه كما ولدته أُمّه**»(٢).

٤. تشييع الموتى

فعن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «**من شيَّع جنازة وليٍّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدَتْه أمّه لا ذنب له**»(٣).

ب. مع أهل البيت عليهم السلام

وفي علاقة المؤمن بأهل البيت عليهم السلام ما يُخرجه من ذنوبه، ويُرجعه كيوم ولدته أمّه، وليس عزيزاً على الله تعالى أن يُكرم أهل بيته عليهم السلام بهذا العطاء وهم قد أعطوا كلّ ما عندهم لله تعالى. وإليك بعضَ أمثلة هذه العلاقة:

١. الصلاة على محمّد وآله

فعن النبيّ الأعظم ﷺ: «**من قال: اللّهمَّ صلِّ على محمّد وآل**

(١) المصدر السابق، ج٧٤، ص٣٠٧.
(٢) المصدر السابق، ج٨١، ص٢٩٨.
(٣) المصدر السابق، ج٤٩، ص٩٨.

محمّد أعطاه الله أجر اثنين وسبعين شهيداً، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه»[١].

وقد ورد أنّه قيل للإمام الصادق عليه السلام: كيف نصلّي على محمّد وآله؟ قال: تقولون: **«صلواتُ الله، وصلواتُ ملائكته وأنبيائه، ورُسلِه، وجميع خَلْقه على محمّد وآل محمّد، والسلامُ عليه وعليهم ورحمةُ الله وبركاتُه»**.

فقيل: فما ثواب من صلّى على النبيّ وآله بهذه الصلاة؟

قال عليه السلام: **«الخروجُ من الذنوبِ واللهِ، كهيئةِ يومِ ولدته أمّه»**[٢].

٢. زيارة أهل البيت عليهم السلام

فقد ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لحبيبه أمير المؤمنين عليه السلام: **«يا عليّ... من زارَ قبورَكم عَدَلَ ذلك سبعين حِجّةً بعد حجَّة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه»**[٣].

وقد ورد عن حمران أنّه زار قبر الإمام الحسين عليه السلام فلمّا قدِمَ تشرَّف بلقاء الإمام الباقر عليه السلام فقال له: **«أبشرْ يا حمران، من زارَ شهداء آل محمّد يريد الله بذلك، وصِلَةَ نبيّه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه»**[٤].

---

(١) المصدر السابق، ج٩٤، ص٦٤.
(٢) المصدر السابق، ج٩٤، ص٥٥.
(٣) المصدر السابق، ج١٠٠، ص١٢١.
(٤) المصدر السابق، ج١٠١، ص٢٠.

وقد أكّدت الروايات على زيارة الإمامين الحسين والرضا عليهما السلام وأنّ زيارة أحدهما تُخرج الإنسان من ذنوبه.

زيارة الحسين عليه السلام

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن فضل إتيان قبر الحسين عليه السلام، فقال: «**حدّثني أبي عن جدّي إنّه كان يقول: من زاره يريد به وجه الله أخرجه من ذنوبه كمولود ولدته أمّه**»(١).

زيارة الرضا عليه السلام

وعن أبي الصّلت الهروي: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه قوم من أهل قُمّ، فسلموا عليه، فردَّ عليهم وقرَّبهم، ثمّ قال: «**مرحباً بكم وأهلاً، فأنتم شيعتنا حقّاً، فسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس، ألا فمن زارني وهو على غُسْل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه**»(٢).

ج. مع الله تعالى

ما تقدّم من علاقة المؤمن بالمؤمنين ثمّ بأهل البيت عليهم السلام هو علاقة بالله تعالى، ولكنّنا أفردنا هذا العنوان لنورد عبادات خاصّة لها ميزة إرجاع الإنسان كيوم ولدته أمّه. وهنا لا بدّ أن نلفت إلى أنّ ما نذكرُه من الأعمال المطهِّرة للقلوب، كلّه مؤخَّر عن عمل جليل

---

(١) المصدر السابق، ج١٠١، ص١٩.

(٢) المصدر السابق، ج٦٠، ص٢٣١.

يتقدّم على كلّ الأعمال، ألا وهو القتل في سبيل الله تعالى، ففوق كل ذي برٍّ برّ حتى يُقتل المرء في سبيل الله فليس فوقه برّ.

وقد أكَّدت نصوص أهل العصمة عليهم السلام أنّ الشهادة تغسِّل الإنسان من كلّ ذنوبه إلاّ دَيْنَ الناس، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«يُغفر للشهيد كلّ ذنب إلاّ الدَّيْن»**.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: **«كلّ ذنب يكفّره القتلُ في سبيل الله إلاّ الدَّيْن فإنّه لا كفّارةَ له إلاّ أداؤه، أو يقضي صاحبُه ويعفو الذي له الحقّ»**[1].

وبعد هذا العمل نذكر أعمالاً يقوم بها الإنسان في علاقته بربِّ العالمين تُرجعه كيوم ولدته أمّه:

١. الصلاة

فعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا قام العبد إلى الصلاة فكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، انصرف كيوم ولدته أُمّه»**[2].

وقد ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: **«يا علي والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً أنّ أحدكم لَيقومُ إلى وضوئه فتساقطُ عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمُّه..**

يا عليّ، منزلة الصلوات الخمس كنهر جار على باب أحدكم،

(١) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٥١٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٧٢.

فما ظنُّ أحدكم لو كان في جسده دَرَنٌ ثمّ اغتسل في ذلك النهر خمس مرّات في اليوم، أكان يبقى في جسده درن؟! فكذلك والله الصلوات الخمس لأمّتي»(١).

وأكّد النبيّ ﷺ هذا المعنى في حادثة رواها سلمان (ره) إذ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة فأخذ غصناً فنفضه فتساقط ورقه فقال: ألا تسألونني عما صنعت؟ قلنا: أخبرنا يا رسول الله. قال ﷺ: **«إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تَحاتَّتْ عنه خطاياه كما ورق هذه الشجرة»**(٢).

إذاً الصلاة تطهِّر قلب المؤمن من الذنب، لكن بشرطين:

الشرط الأوّل:

حدّده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **«من أتى الصلاة عارفاً بحقّها غُفِر له»**(٣) ومن معرفة حقّ الصلاة أنّها:

أ. أساس الدين: فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«الصلاة عمود الدين، مَثَلُها كمَثَل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود ثبتت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود لم يثبت وَتدٌ ولا طُنُب»**(٤).

ب. رأس الإسلام: فعن النبيّ ﷺ: **«ليكن أكثر همّك الصلاة، فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»**(٥).

---

(١) الري شهري، محمدي، ميزان الحكمة، ص٣٧٢.
(٢) المصدر السابق، ص٣٧١ ـ ٣٧٢.
(٣) المصدر السابق، ص٣٧١.
(٤) المصدر السابق، ص٣٦٩.
(٥) المصدر السابق، ص٣٦٦.

ج. وجه الدين: فعن الصادق عليه السلام: **«لكلّ شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة»**[١].

د. **أفضل الأعمال:** فقد ورد أنّ أحدهم قال للإمام الصادق عليه السلام: أيّ الأعمال هو أفضل بعد المعرفة؟ فقال عليه السلام: **«ما من شيء بعد المعرفة يَعْدل هذه الصلاة»**[٢].

هـ. **أَحَبُّ الأعمال:** فعن الصادق عليه السلام: **«أَحَبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء»**[٣].

الشرط الثاني:

هو ما مرَّ بعنوان **«كان هواه وقلبه إلى الله»** و**«استقبل الله بوجهه وقلبه»**[٤].

وقد جعل الإمام الخمينيقدس سره هذا الشرط من مقدِّمات الصلاة، فقال في تحرير الوسيلة: **«ينبغي للمصلّي إحضارُ قلبه في تمامِ الصلاة أقوالِها وأفعالِها، فإنّه لا يُحسَب للعبد من صلاته إلاّ ما أَقبَل عليه، ومعناه الالتفات التامّ إليها، وإلى ما يقول فيها، والتوجّه الكامل نحو حضرة المعبود جلّ جلاله، واستشعار عظمته وجلال هيبته، وتفريغ قلبه عمَّا عداه، فيرى نفسه ممتثلاً بين يدي ملك الملوك، عظيم العظماء، مخاطباً**

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) المصدر السابق، ص٣٦٩.
(٣) المصدر السابق، ص٣٦٧.
(٤) المصدر السابق، ص٣٧١ ـ ٣٧٢.

له مناجياً إيّاه، فإذا استشعر ذلك وقع في قلبه هيبتُه فيهابه، ثمّ يرى نفسه مقصِّراً في أداء حقّه فيخافه، ثمّ يلاحظ سَعة رحمته فيرجو ثوابه، فيحصل له حالةٌ بين الخوف والرجاء، وهذه صفة الكاملين»[(١)].

٢. الصوم

الصوم هو من الأعمال التي تُطهِّر القلوب من الذنوب، وتُرجع الإنسان كيوم ولدته أمّه. إلاّ أنّ للصوم شروطاً لتحقيق ذلك، كما أنّ له أوقاتاً أحبَّها الله وجعلها محلّاً للتطهير، والبدء بأيام رجب.

صوم رجب

فعن الإمام الرضا عليه السلام: **«من صام رجب كلّه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه وأُعتق من النار ودخل الجنّة مع المصطفين الأخيار»**[(٢)].

وصل شعبان برمضان

فعن الإمام الرضا عليه السلام: **«من صام ثلاثة أيام من آخر شعبان وَصَلها بصيام شهر رمضان إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمّه»**[(٣)].

(١) الإمام الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، بيروت، سفارة الجمهورية الاسلامية، ج١، ص١٤٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٤٢.
(٣) المصدر السابق، ج٩٧، ص٨٠.

صوم رمضان

فعن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**شهر رمضان شهر فَرض الله عليكم صيامه، فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه**»[١].

وقد بيَّن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ الشروط التي لا بدَّ من تحقيقها ليحقّق الصوم هذه الغاية الكبرى، وذلك حينما قال لصاحبه جابر: «**يا جابر، من دخل عليه شهر رمضان فصام نهاره، وقام وِرْداً من ليلته، وحفظ فرجه ولسانه، وغضَّ بصره، وكفَّ أذاه، خرج من الذنوب كيوم ولدته أمّه**».

فقال جابر: جُعلت فداك، ما أحسن هذا الحديث!

فأجاب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ما أشدَّ هذا من شرط!**»[٢].

فإذا لم يتوفَّق الإنسان لمغفرة الله تعالى في شهر رمضان فإنه لا يُغفر له إلى أن يأتي شهر رمضان اللّاحق، اللَّهمَّ إلاّ إذا حقّق أمراً جليلاً عبَّر عنه الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «**من لم يُغفر له في شهر رمضان ما يُغفَر له إلى قابل إلاّ أن يشهد عرفة**»[٣].

بل «**من الذنوب ذنوب لا تُغفر إلاّ بعرفات**»[٤].

وهذا ما يُدخلنا في العمل الثالث في علاقة الإنسان بالله وهو «**الحجّ**». ولأهميّة هذا العمل ولحساسيته في إرجاع الإنسان كيوم ولدته أمّه نتوسَّع في الموضوع في الصفحات اللَّاحقة لنبيِّن أثر

---

(١) المصدر السابق، ج٩٦، ص٣٧٥.

(٢) المصدر السابق، ج٩٦، ص٣٧١.

(٣) المصدر السابق، ج٩٦، ص٣٧٥.

(٤) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص ٢٢٠.

هذا السَّفَر الإلهيّ في تطهير قلب الإنسان ورقيّه في مدارج الكمال الإلهي، فهلمَّ بنا نتعرَّف على جانب من أسرار الحجّ الذي ورد فيه بحقّ أنّه يُرجع الإنسان كيوم ولدته أمّه.

كيف يَرجِعُ
الحاجُّ كما ولدته أُمُّه ؟

أصناف الحُجَّاج

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الحاجّ يصدّرون على ثلاثة أصناف:**

. صنف يُعتَق من النار.

. وصنف يَخرُج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أُمّه.

.وصنف يُحفظ في أهله وماله، فذاك أدنى ما يرجع به الحاجّ[1].

فكيف نكون من الصنف الذي يُعتق من النار ويَخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه؟!!

هلُمَّ بنا نتدرَّج في مسير الحجّ».

في مسير الحجّ

قبل المسير

❖ الدعاء للحجّ

ورد كثير من الأدعية التي تُعلِّم المؤمن أن يطلب من الله أن يرزقه الحجّ، ولا سيّما في شهر رمضان المبارك، وما هذا إلا تعليم من أهل العصمة عليهم السلام أن يكون الدعاء للحجّ هو البداية، ومن هذه الأدعية: «**اللهمَّ منك أطلب حاجتي ومَنْ طلب حاجته**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٦.

من الناس فإنّي لا أطلب حاجتي إلاّ منك وحدك لا شريك لك، أسألك بفضلك ورضوانك أن تصلّيَ على محمّد وأهل بيته وأن تجعل لي في عاميَ هذا إلى بيتك الحرام سبيلاً حجَّةً مبرورة، متقبَّلة زاكية خالصة تَقَرُّ بها عيني وترفع بها درجتي»[١].

❖ معرفة حقّ الحجّ

وللعبادات حقوق يتحقّق أدناها بمعرفتها التي هي أساس في تحقيق نتائجها.

وقد تحدَّث الإمام زين العابدين عليه السلام عن حقوق الحجّ بقوله: **«وحقّ الحجّ أن تعلم أنّه وِفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قَبول توبتك وقضاء الغرض الذي أوجبه عليك»**[٢].

فالحجّ هو تلبية لنداء الله تعالى في الناس الذي أمر به خليلَه إبراهيم عليه السلام وحبيبه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى: **﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**[٣].

وقد رُوي أنّ الله تعالى حينما أوحى بالأذان بالحجّ لخليله إبراهيم عليه السلام قال له: يا ربّ، وما يبلغ صوتي، فأوحى الله إليه: أذِّن وعليَّ البلاغ، فنادى إبراهيم: كُتب عليكم الحجُّ إلى البيت العتيق فحُجُّوا، فسمعه ما بين السماء والأرض[٤]. وتكرَّر النداء من خاتم الأنبياء

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٧ ـ ٢٨.

(٢) القبانجي، عز الدين، شرح رسالة الحقوق، ج١، ص٢١١.

(٣) سورة الحجّ، الآية ٢٧.

(٤) الحجّ في القرآن، تحقيق ونشر ممثليّة الوليّ الفقيه لشؤون الحجّ، ط١، ايران، ١٤١٤هـ، ص٤٩٢ (الرواية واردة عن ابن عبّاس عن طريق أهل السنّة).

محمّد ﷺ الذي استجابت له الأُمّة العظيمة وستبقى تستجيب إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى.

وإذا كان الحجُّ وِفادةً على ربّ العالمين فإنّه لا يُقارَن به كثيرٌ من الأعمال الخيريّة. وهذا ما وضّحه النبيّ الأعظم ﷺ لذلك الأعرابيّ الذي تلقّاه في الأبطح فقال له: يا رسول الله، إنّي خرجت أريد الحجّ فعاقني عائق، وأنا رجل مليء، كثير المال، فمُرني أن أصنع في مالي فأبلُغَ ما بلغَ الحاجّ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي قُبَيْس (الجبل المعروف) وقال: **«لو أنّ أبا قُبَيْس لك زِنَتُه ذهبة حمراءَ أنفقته في سبيل الله ما بلغتَ ما بلغ الحاجّ»**[1].

❖ تجريد القلب

وعند إرادة الحجّ وتلبية دعوة الله تعالى لزيارة بيته، والورود إلى محلِّ الطُّهر يُرشِد الإمام الصادق عليه السلام إلى عمل قلبيّ يُطلب من مُريد الحجّ فيقول عليه السلام: **«إذا أردت الحجّ فجرِّد قلبك لله عزَّ وجلَّ من قبل عزمك من كلّ شاغل، وحجب عن كلّ حاجب، وفوّض أمورَك كلَّها إلى خالقك، وتوكّل عليه في جميع ما يَظهر من حركاتك وسكناتك، وسلِّم لقضائه وحكمهِ وقدرِه، وودِّع الدنيا والراحة والخَلْق»**[2].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٦.

(٢) الحج في القرآن، ص٢٨٥.

بداية المسير

❖ الصدقة

«افتح سفرك بالصدقة» إنّه تعليم صادق أهل البيت عليهم السلام لنا في بداية السفر، وقد رُوي في ذلك أن رجلاً من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام أراد السفر فأتاه ليودِّعه فقال له: «**إنّ أبي عليَّ بن الحسين عليه السلام كان إذا أراد الخروج إلى بعض أمواله اشترى السلامة من الله عزَّ وجلَّ بما تيسَّر أي بالصدقة بما تيسَّر، ويكون ذلك إذا وضع رجله في الرِّكاب، وإذا سلَّمه الله وعاد من سفر حَمِدَ الله وشكره بما تيسَّر له**». فودّعه الرجل ومضى ولم يعمل بما وصّاه الباقر عليه السلام فهلك في الطريق، فأتى الخبر الإمام الباقر عليه السلام فقال: «**قد نُصح الرجل، لو كان قبِل**»[1].

❖ دعاء السفر

وهو الوارد في مفاتيح الجنان «**اللهمَّ إنّي أستودعك اليوم نفسي وأهلي ومالي ووُلْدي ومن كان منّي بسبيل الشاهد منهم والغائب، اللَّهمَّ احفظنا بحفظ الإيمان، واحفظ علينا، اللَّهمَّ اجعلنا في رحمتك، ولا تسلبنا فضلك، إنّا إليك راغبون.**

اللّهمّ إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلَب وسوء المنظر

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، بيروت، ط١، الأعلمي١٩٩٢، ص٣٨٨.

في الأهل والمال والوُلْد في الدنيا والآخرة.

اللهمَّ إنّي أتوجّه إليك هذا التوجُّه طلباً لمرضاتك وتقرُّباً إليك، اللهمَّ فبلِّغني ما أؤمّله وأرجوه فيك وفي أوليائك، يا أرحم الراحمين(١).

❖ تسبيح الزهراء عليها السلام

وقد ورد استحبابه بعد توديع الأهل وعند الوقوف بالباب(٢).

أثناء المسير

اهتمّ الإسلام بأفعال وصفات قاصد الحجّ أثناء مسيره، ونعرض هنا جملة من الأفعال والصفات الواردة عن أهل العصمة عليهم السلام :

١. الذِّكْر:

ففي فقه الرضا عليه السلام في حديث مع المسافر إلى الحجّ: «... **وعليك بكثرة الاستغفار، والتسبيح والتهليل، والتكبير، والصلاة على محمّد وآل محمّد...**»(٣).

٢. الورَع

فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام : «**ما يُعْبَأُ بمن يؤمّ هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يَحجُزه عن معاصي الله...**»(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٢٠.
(٤) المصدر السابق، ص١٢١.

٣. الحِلْم وكَظْم الغيظ

ويتابع الإمام عليه السلام حديثه السابق مكمِّلاً الخصال الثلاث: «**وحِلْمٌ يملِكُ به غضبَه**»، فقد يُبتلى الحاجّ في مسيره بكثير ممّا يُسبِّب له الغضب والخروج من حالة الاعتدال المزاجي، وهنا تأتي قيمة صفة كَظْم الغيظ التي تُجنِّب الإنسان الوقوع في مزالق الانحراف.

٤. حُسْن الصحابة

ويُكمل الإمام عليه السلام الخصلة الثالثة بقوله: «**وحسن الصحابة لمن صَحِبه**».

ومن أهمّ محقِّقات حسن الصحابة أن يُعينَ الحُجّاجَ ويقضيَ حوائجهم، وهذا ما له أجر كبير وعظيم عند الله تعالى، فها هو رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يخبرنا قائلاً: «**من أعانَ مؤمناً مسافراً نفّسَ الله عنه ثلاثاً وسبعين كُربة، وأجاره في الدنيا من الهمّ والغمّ، ونفّسَ عنه كَربه العظيم، قيل: يا رسول الله، وما كَرْبه العظيم؟ قال: حيث يُغشى بأنفاسهم**».

لذا رُوي أنّ إمامنا زين العابدين عليه السلام كان لا يسافر إلاّ مع رفقة لا يعرفونه ليخدمهم في الطريق، فإنّهم لو عرفوه منعوه عن ذلك[1].

ومن الأخلاق الكريمة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان مع أصحابه

---

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٣٩١.

في بعض الأسفار، فأرادوا ذبح شاة يقتاتون بها، فقال أحدهم: عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخ جلدها، وقال الآخر: عليّ طبخها، فقال ﷺ: عليَّ الاحتطاب، فقالوا: يا رسول الله، نحن نعمل ذلك، فلا تتكلّفه أنت، فأجاب: أنا أعلم أنّكم تعملون، ولكن لا يسرّني أن أمتاز منكم، فإنّ الله يكره أن يرى عبده قد فضَّل نفسه على أصحابه، وأعلم أنّ أثقل الخلق على الأصحاب في السفر من تكاسل في الأعمال، وهو في سلامة من أعضائه وجوارحه، فهو لا يؤدّي شيئاً من وظائفه مرتقباً رفقته يقضون له حوائجه(١).

في ميقات الحجّ

وينتهي السفر الأوَّل لمن أراد الحجّ في «الميقات» وهو المكان الذي حدَّده الله تعالى محلّاً لانطلاقة الحاجّ نحو الله تعالى.

فليس لقاصد الحجّ دخول مدينة الله «مكّة» من حيث يريد، بل الله تعالى يقرِّر محل المرور ومكان العبور. فالميقات هو معبر الله لدخول مدينة الله حيث الضيافة الربّانيّة والمِنَح الإلهيّة.

غُسل الإحرام

وفي الميقات يخلع الإنسان ثوب الدنيا ليغتسل بماء التوبة ناوياً تجريدَ نفسه من أثر الدنيا وتطهيرَ قلبه بماء الغُسل النازل على جسده من الخطايا والذنوب.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

فعن الصادق عليه السلام: «... ثمّ اغتسل بماء التوبة الخالصة من الذنوب».

ويُستحَبُّ أن يقول عند غُسله: «بسم الله وبالله، اللَّهمَّ اجعله لي نوراً وطهوراً وحِرزاً وأمناً من كلّ خوف، وشفاء من كلّ داء وسُقْم، اللَّهمَّ طهّرني وطهِّر قلبي واشرح لي صدري، وأجرِ على لساني محبّتك ومِدْحتَك والثناء عليك، فإنّه لا قوّة لي إلاّ بك، وقد علمتُ أنّ قِوام ديني التسليمُ لك والاتّباعُ لسنّة نبيّك، صلواتُك عليه وآله»[١].

لُبس ثياب الإحرام

وبعد الغُسل يلبس الحاجّ ثوب الإحرام الوارد في أنّه كُسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، وهو ثوب يشبه كفن الإنسان النازل في قبر عالمه الجديد.

الكلّ يلبس نفس الثوب، الرئيس والمرؤوس، الغنيّ والفقير، العالم والجاهل، الكلّ في لباس متشابه، كما يكون الكلّ في كفن متشابه.

ويُستحَبّ عند لبس ثوبَيّ الإحرام أن يقول: «الحمد لله الذي رزقني ما أُواري به عورتي، وأؤدّي فيه فرضي، وأعبُدُ فيه ربّي، وأنتهي فيه إلى ما أمرني. الحمد لله الذي قصدته فبلّغني،

---

(١) اليزدي، محمد كاظم، العروى الوثقى، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، ج٤، ص٦٥٢.

وأردته فأعانني وقبلني، ولم يقطع بي، ووجهه أردت فسلّمني، فهو حِصني وكهفي وحِرزي وظهري وملاذي ولَجأي ومنجاي وذُخري وعُدَّتي، في شدَّتي ورخائي»(١).

وكما للغُسل سرّ فلخلع الثياب سِرّ وللبس ثوب الإحرام سرّ، وهو ما أرشد إليه الإمام زين العابدين عليه السلام حينما استقبل أحد الحُجّاج وهو شبلي.

فسأله الإمام: حججتَ يا شبلي؟

قال: نعم يا ابنَ رسول الله.

قال عليه السلام: أنزلتَ الميقات، وتجرَّدت عن مَخيط الثياب واغتسلتْ؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فحين نزَلْتَ الميقات نويت أنّك خلعت ثياب المعصية، ولبست ثوب الطاعة؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فحين تجرَّدت عن مخيط ثيابك نويت أنّك تجرَّدت عن الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فحين اغتسلت نويت أنّك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟

(١) المصدر السابق نفسه.

قال: لا.

قال عليه السلام:

فما نزلت الميقات، ولا تجرَّدت عن مخيط الثياب، ولا اغتسلت[1]!

صلاة الإحرام

ثمّ يقف الحاجّ بين يدي الله تعالى يصلّي صلاة الإحرام قبل أن يعلن إحرامه فيصلي ركعتين أو ستّ ركعات، وينوي في هذه الصلاة أنّه يقدِّم بين إحرامه أفضل الأعمال.

نيّة الإحرام

ثمّ ينوي الحاجّ أنّه يُحْرِم لله تعالى معلناً بذلك أنّه يحرِّم على نفسه كلّ ما يمنعه من ذكر الله تعالى ويَحجبُه عن طاعته.

ويُستحَبّ - بعد صلاة الإحرام، وحينما يريد نيّة الإحرام - أن يقرأ هذا الدعاء:

«اللهمَّ إنّي أسألك أن تجعلني ممّن استجاب لك، وآمن بوعدك، واتّبع أمرك فإنّي عبدك، وفي قبضتك لا أُوقى إلى ما وُقيت، ولا آخذ إلاّ ما أُعطيت، وقد ذكرتُ الحجَّ فأسألك أن تعزم لي عليه على كتابك وسنّة نبيّك صلواتك عليه وآله، وتقوّيني على ما ضعُفت عنه، وتسلَّم منّي مناسكي في يُسر منك وعافية، واجعلني من

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، (لا، ط)، قم، (لا،ت)، ١٣٩٩، ج١، ص٣٧١.

وَفْدك الذي رضيت وارتضيت، وسمَّيت وكتبت، اللَّهمَّ إنّي خرجت من شقّة بعيدة، وأنفقت مالي ابتغاء مرضاتك، اللَّهمَّ فتمِّم لي حجّتي وعُمرتي، اللَّهمَّ إنّي أريد التمتُّع بالعُمرة إلى الحجّ على كتابك وسنّة نبيّك، صلواتك عليه وآله، فإن عرض لي عارض يحبسني فخلّني حيث حبستني بقدَرك الذي قدّرت عليَّ، اللَّهمَّ إن لم تكن حِجّة فعُمرة. أُحْرِمُ لك شعري وبشري ولحمي ودمي وعظامي ومخّي وعصبي من النساء والثياب والطيب، أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة»[1].

التلبية

ويعلن الحاجّ عن تلبيته لدعوة الله تعالى لحجّ بيته فيقول لله: **«لبَّيك اللَّهمَّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبّيك»**.

كلمات يعلن فيها الحاجُّ أنّه يُلبّي الواحد الأحد في كلمات تكرّر التوحيد ليشعر فيها الملبِّي أنّ كلّ الأمور هي من الله، فهو صاحب الحمد، وهو صاحب النعمة، لذا لا بدّ من العزم على أن يترك كلّ ما هو عدا الله تعالى ليبقى معه وحده.

ويُستحَبّ أن يكمل التلبية بكلمات تحمل صفات الله وأفعاله فيقول: **«لبّيك ذا المعارج لبّيك، لبّيك داعياً إلى دار السلام لبّيك، لبّيك غفّار الذنوب لبّيك، لبّيك أهلَ التلبية لبّيك، لبّيك ذا**

---

(١) الإمام الخميني، مناسك الحج، ط٥، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٠ ش، ص٧٤.

الجلال والإكرام لبّيك، لبّيك تبدئ والمعاد إليك لبّيك، لبّيك تستغني ويُفتقر إليك لبّيك، لبّيك مرغوباً ومرهوباً إليك لبّيك، لبّيك إنّه الحق لبّيك، لبّيك ذا النعماء والفضل الحسن الجميل لبّيك، لبّيك كشّاف الكُرَب العظام لبّيك، لبّيك عبدك وابن عبديك لبّيك، لبّيك يا كريمُ لبّيك، لبّيك أتقرّبُ إليك بمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليه وعليهم لبّيك...»(١).

ولصلاة الإحرام ونيّته والتلبية أسرار كشف عنها إمامنا زين العابدين عليه السلام في حديثه مع شبلي.

قال عليه السلام له: فحين أحرمتَ نويْتَ أنّك حرَّمت على نفسك كلّ محرَّم حرّمه الله عزَّ وجلَّ؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فحين عقدت الحجّ نويتَ أنّك قد حلَلْت كلّ عَقْدٍ لغير الله؟

قال: لا.

قال عليه السلام: ... لا أحرمتَ ولا عقَدْتَ الحجّ.

ثمّ قال عليه السلام: أدَخلتَ الميقات وصلّيت ركعتي الإحرام ولبّيت؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فحين دخلت الميقات نويت أنّك بنيّة الزيارة؟

قال: لا.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٩، ص١٣٦.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ **: فحين صلّيت الركعتين نويت أنّك تقرّبتَ إلى الله تعالى بخير الأعمال من الصلاة وأكبر الحسنات؟**

قال: لا.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ **: فحين لبَّيت نويت أنّك نطقت لله سبحانه بكل طاعة، وصَمَتَّ عن كلّ معصية؟**

قال: لا.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ **: ما دخلت الميقات ولا لبّيت**[1]**.**

تلبية الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ

وليتذكّر الملبّي أنّه يخاطب ربّ العالمين معلناً تلبية دعوة الضيافة، وهو يفكر: هل يقبله الله ضيفاً؟!!

وليتذكّر ما رواه أحدهم عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «**لقد حججتُ معه سنة، فلمّا استوت به راحلته عند الإحرام كان كلَّما همَّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرّ من راحلته، فقلت: قُلْ يا ابن رسول الله! ولا بدّ أن تقول، فقال: يا ابن أبي عامر: كيف أجسر أن أقول «لبّيك اللّهمَّ لبّيك»**، وأخشى أن يقول تعالى لي: «**لا لبّيك ولا سعدَيْك؟!**»[2].

محرَّمات الإحرام

وبالتلبية يَحْرُم على الإنسان أمور منها ما هو حلال في غير

---

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، مكترم الأخلاق، ج١، ص٣٧١.

(٢) حج الأنبياء والأئمة، تحقيق معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج، منشورات مشعر، إيران، ص٣٧٠، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٨٢.

الإحرام، لكنّه حرام عنده. والمتأمّل في هذه المحرَّمات يعرف أنّ الله تعالى أراد من خلالها في إحرامه أن يجعله مراقباً لنفسه أشدّ رقابة.

. فيراقب عينيه أن لا تقعا في مرآة ينظر فيها للزينة.

- ويراقب أنفه أن لا يشمّ به طيباً.

- ويراقب لسانه أن لا يجادل به.

- ويراقب جسده أن لا يُدميه بخروج الدم.

- ويراقب شعره أن لا يُسقط منه شيئاً.

- ويراقب قدمه أن يطأ بها على الهوامّ.

إنّها مدرسة تعلّمنا مراقبة الله في كلّ حركاتنا لتبقى المراقبة تواكب كلّ الحياة.

مكّة مدينة الضيافة الإلهيّة

- مُحرماً نازعاً ثوبَ الدنيا لابساً ثوب الدين.

- محرِّماً على نفسه ما حرَّم الله عليه.

- مراقباً لكلّ حركاته وسكناته.

- ملبّياً دعوة الله للضيافة.

ينطلق الحاجّ إلى مدينة الله حيث الضيافة الربَّانية.

❖ إنّها مكّة التي شرّفها الله وقدّسها.

❖ إنّها البلد الآمن بدعاء خليل الله إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

❖ إنّها البلد الأمين الذي أقسم الله تبارك وتعالى به ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[1].

إنّها أمّ القرى التي قال الله تعالى فيها ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[2].

❖ إنّها بكّة التي حازت شرف الله بوضع البيت العتيق[3] فيها ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[4] وورد في سبب تسميتها بكّة أنّ الناس يتباكَون فيها[5].

❖ إنّها أفضل مدينة على الأرض في حديث سيّد بني البشر القائل: «**إنّ الله اختار من كلّ شيء شيئاً، اختار من الأرض مكّة...**».

من صُور الضيافة

تُرى أيُّ ضيافة هي التي دعا إليها ربُّ العالمين في مدينته المقدّسة؟!! هلمَّ معي نطّلعْ على بعض نماذج هذه الضيافة:

١. ثواب التسبيح

للتسبيح ثواب جزيل عبَّر عنه النبيّ ﷺ في إحدى جلساته «**من قال سبحان الله، غرس الله له شجرة في الجنّة**»، لكنّ التسبيح في مكّة يختلف ثوابه كثيراً.

---

(١) سورة التين، الآية ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية ٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٩٦.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٧٨.

فأيّ ثواب هو لشخص يملك قيمة الضرائب الماليّة التي فُرضت في الإسلام لبيت المال في مدينتي البصرة والكوفة، فأخذ كلّ هذه الأموال الطائلة فأنفقها في سبيل الله؟!

تُرى كم ثوابه؟!!

الإمام الصادق عليه السلام يقول: **«تسبيحٌ بمكّة يعدِل خراجَ العراقَيْن يُنفَق في سبيل الله»**(١).

٢. ثواب السجود

وأيُّ ثواب لمجاهد جُرح في معركة الجهاد ضدَّ الكفر، فأخذ يتشحّط بدمه في البلاد؟!!

الإمام أبو جعفر عليه السلام يقول: **«الساجد بمكّة كالمتشحِّط في البلدان»**(٢).

٣. ثواب ختم القرآن

ولقراءة القرآن ثواب عظيم، إذ ورد أنّ يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ، فكلّما قرأ آية رَقِي درجة، ولختم القرآن ثواب أعظم، لكنّ الأعظم من هذا وذاك أن يختم القرآن في مكّة.

فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام: **«من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرى منزله في الجنّة»**(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص٨٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

٤. ثواب النفقة

وأحبَّ اللّه النفقة في مكّة حتى ورد في ثوابها «**الدرهم فيها بمائة ألف درهم**».

٥. ثواب المرض

وكرَّم اللّه المريض في مكّة حتى قال خاتم الأنبياء ﷺ: «**من مرض مرضاً بمكّة كتب اللّه له من العمل الصالح الذي يعمله عبادة ستين سنة**»(١).

٦. ثواب الصبر على الحَرّ

وعوَّض اللّه من المعاناة في مكّة حتى قال الرسول الأكرم ﷺ: «**من صبَر على حَرِّ مكّة ساعة تباعدت عنه النار مسيرة مائة عام، وتقرَّبت منه الجنّة مسيرة مائة عام**»(٢).

٧. ثواب النوم

حتى النوم في مكّة جعله اللّه محلاً للثواب، فعن الإمام السجّاد عليه السلام: «**النائم بمكّة كالمتشحّط في البلدان**»(٣).

آداب دخول مكّة

فإذا كانت مكّة هي محلَّ هذه الضيافة الإلهيّة، نفهم جانباً من سرِّ تكريم اللّه تعالى لها، حتى جعل لها حَرَماً حولها، سنَّ له السُّنَن، وجعل لدخول مكّة آداباً، منها:

---

(١) المصدر السابق، ص٨٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٨٥-٨٦.

(٣) المصدر السابق، ص٨٢.

١. الغُسل

ففي فقه الرِّضا عليه السلام: «فإذا بلغت الحرم فاغتسل قبل أن تدخل مكّة»(١).

٢. الدخول بسَكينة

فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «من دخل مكّة بسَكينة غُفر له ذنوبه»(٢).

٣. الدخول بتواضع

فقد حكى أبان بن تغلب أنّه حجّ مع الإمام الصادق عليه السلام فرأى الإمام، حينما وصل إلى الحرم، قد نزل فاغتسل، وأخذ بنعليه، ثمّ دخل الحرم حافياً، فصنع أبان مثل ما صنع الإمام، فقال له الإمام عليه السلام: **«يا أبان من صنع مثلَ ما رأيتَني صنعتُ تواضعاً لله محا الله عنه مائة ألف سيّئة وكتب له مائة ألف حسنة، وقضى له مائة ألف حاجة»**(٣).

وقد ركّزت أحاديث أهل العصمة عليهم السلام على كون الكِبْر مانعاً من الاستفادة من هذه الضيافة الإلهيّة ابتداءً من دخول مكّة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«... لم يهبط وادي مكّة أحدٌ ليس في قلبه من الكِبْر إلاّ غُفر له»**(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٩٢.

ضيافة المسجد الحرام

وللضيافة في مكّة المكرّمة مقامات تبتدئ من نفس المدينة، وترقى في أفضل بقعة فيها، ففي الحديث عن النبيّ ﷺ: «إنّ الله اختار من كلّ شيء شيئاً، اختار من الأرض مكّة، واختار من مكّة المسجد...».

والضيافة الربّانيّة في المسجد تتجلّى بثواب الصلاة فيه، ومن هذا الثواب.

١. مئة ألف صلاة

فعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «الصلاة في المسجد الحرام تَعْدِل مئة ألف صلاة»[١].

٢. قبول كلّ الصلوات

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «من صلّى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة قَبِل الله منه كلّ صلاة صلاّها منذ يوم وجبت عليه الصلاة، وكلّ صلاة يُصلّيها إلى أن يموت»[٢].

٣. عُمرة مبرورة

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «النافلة في المسجد الحرام الأعظم تعدِل عُمرة مبرورة».

---

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث و ط٢، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٢٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص٥٣٦.

٤. حجّة مقبولة

ويكمل الإمام عليّ عليه السلام حديثه السابق بقوله: «... **وصلاة الفريضة تعدل حجّة مقبولة**».

ضيافة الكعبة

ويزداد مقام الضيافة وتتصاعد نوعيّة الثواب في مكان البيت العتيق لأنّه أفضل بقعة في المسجد، فتمام الحديث النبويّ الذي تعرّضنا له سابقاً هو: «**إنّ الله اختار من كلّ شيء شيئاً، اختار من الأرض مكّة، واختار من مكّة المسجد، واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة**».

فما هي قصّة هذه الكعبة؟ وكيف تكون ضيافتها؟ فلنتابع الجواب بشيء من التفصيل.

تاريخ الكعبة

إنّ قصّة الكعبة ترتبط بالحوار الذي جرى بين الله تعالى وملائكته، حينما أراد خلق الإنسان، وقد ذكر القرآن هذا الحوار بقوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[١].

من الواضح أنّ الملائكة تفاجأت من إخبار الله تعالى لها

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

بخلق الإنسان، وتساءلت عن ذلك بصورة اعتراض، ممّا يُفهمنا أنّ الملائكة الذين لا يعصَوْن الله ما أمرهم كانوا مسبوقين بأمر سبَّب سؤالهم هذا، فما هو هذا الأمر الذي أنتج سؤالاً على هيئة اعتراض؟

ذُكرت عدّة احتمالات:

الأوّل: أنّهم علموا أنّ المجعول خليفة (وهو الإنسان) ذو قوى ثلاث عليها مدار أمره، وهي قوّة الشهوة وقوّة الغضب، وهما تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء، والقوة الثالثة عقليّة تدعوه إلى المعرفة والطاعة، فخافوا من سيطرة القوّتين الأوليَيْن على قوّة العقل ممّا يؤدّي إلى الفساد وسفك الدماء، فسألوا[١].

الثاني: أنّهم كانوا مطّلعين على تجربة سابقة للمخلوق الذي فيه جنبة الاختيار ألا وهو الجِنّ، وفي بعض الروايات إضافة النسناس، وهؤلاء كانوا قد أفسدوا في الأرض[٢]، فخافت الملائكة من تكرار التجربة.

الثالث: أنَّ هناك واقعاً سابقاً مع آدميّين قبل آدمنا (الخليفة في الآية) وكان ذلك الواقع فيه فساد في الأرض لذا سألت، ويُتمسّك لهذا الاحتمال بما رُوي: «قبل آدمكم هذا ألف آدم».

---

(١) أنظر: الجزائري، عز الدين، قصص الأنبياء، منشورات الأعلمي، بيروت، ص٢٧.

(٢) أنظر: الراوندي، قطب الدين، قصص الأنبياء، تحقيق اليزدي،مشهد، ط١، منشورات مجمع البحوث، ١٤٠٩هـ، ص٣٦.

وعلى كلٍّ، فإنّ الله تعالى قال لملائكته ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ في إشارة منه تعالى إلى أنّ الملائكة لم تطّلع على الجانب الأساس الذي يمثّل سرّ الخلق. وتوضيح ذلك أنّ الملائكة كانت عارفة بالصفحات السوداء من مستقبل البشريّة المقبل، لكنّها لم تكن مطّلعة على الصفحات النورانيّة المشرقة من ذلك المستقبل، وإشارةً إلى هذه الصفحات المشعَّة قال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. وأراد تعالى أن يُطلعهم على تلك الصفحات الناصعة بالطُّهر والعصمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] هنا عرفت الملائكة نقصها المعرفيَّ، فقالت لربِّها تعبِّر عن عجزها: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

من هم أصحاب الأسماء؟

من الواضح أنّهم من جنس العقلاء للتعبير عنهم في الآية بـ«**هؤلاء**» التي تُستعمل للعقلاء.

وإنّ توالي الآيات يُفهم المتدبِّر فيها أنّ هؤلاء هم سرُّ الخلق، إنّهم الصفوة الطاهرة التي تمثّل الصفحات النورانيّة من مستقبل البشريّة، إنّهم خلاصة البشر وصفوتهم وأهل الكرامة منهم.

لذا ورد في بعض الروايات أنّ الأسماء هي أسماء الحُجَج، حُجَج

(١) سورة البقرة، الآية ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٢.

الله على الأرض، وعلى رأس هؤلاء الحجج أنوار خمسة أراهم الله لآدم وقال له ـ كما ورد عن النبيّ ﷺ ـ **«هؤلاء خمسة من وُلْدك، لولاهم ما خلقتُك، ولا خلقت الجنّة ولا النارَ، ولا العرشَ ولا الكرسيَّ ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الجنّ ولا الإنسَ، هؤلاء خمسة شَقَقْتُ لهم اسماً من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمّد ﷺ، وأنا الأعلى وهذا عليّ عليه السلام، وأنا الفاطر وهذه فاطمة عليها السلام وأنا ذو الإحسان وهذا الحسن عليه السلام وأنا المحسن وهذا الحسين عليه السلام»**[١].

وإشارة إلى هؤلاء الحُجَج قال تعالى لآدم: ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾.

حينها عَلِمت الملائكة قصورها، فراحت تستغفر ربَّها ممّا صدر عنها من السؤال، فوضع الله تعالى لها في السماء الرابعة بيتاً بحِذاء العرش يُسمَّى الضّراح، ثمّ وضع في سماء الدنيا بيتاً يُسمَّى البيت المعمور وهو بحِذاء الضّراح[٢]، ثمّ أمر الله الملائكة أن ترفع في الأرض بيتاً بحِذاء البيت المعمور[٣] في البقعة التي دحا من تحتها الأرض[٤] فكان البناء الأول للكعبة الشريفة.

وبعد أن خالف آدم ما أرشده إليه ربُّه، وأُنزل إلى الأرض عرَّفه جبرئيل موضع الكعبة، وفي بعض ما ورد أنّ آدم كان له دور في

---

(١) الراوندي، قطب الدين، قصص الأنبياء، ص٤٤ ـ ٤٥.
(٢) ورد هذا عن الإمام الرضا عليه السلام، أنظر: الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء، ص٣١.
(٣) أنظر: الحسيني، عبد الصاحب، الأنبياء، منشورات الأعلمي، ص٣٩.
(٤) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٥٧.

تأسيس البيت التأسيسَ الإنسانيّ لتكون الكعبة محلًّا لتوبته إلى الله تعالى.

الكعبة في عهد إبراهيم عليه السلام

وأبى الله تعالى للكعبة الشريفة ألّا تَدْخُلَ الأنبياءُ والأولياءُ في عمارتها عبر التاريخ، ففي عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام أمره الله وابنَه إسماعيل أن يرفعا قواعد البيت. قال تعالى: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**(١).

الكعبة في عهد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

وقبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم انصدعت جدران الكعبة من السيل، فأراد أهل قريش بناءها من جديد فبلغوا القواعد التي وضعها إبراهيم عليه السلام، فلمّا أرادوا أن يزيدوا في عرضها وحرَّكوا القواعد التي وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة، فكفّوا عنه، فلمّا بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود، تشاجرت قريش في وضعه، فقالت كلّ قبيلة نحن أولى به، نحن نضعه، فلمّا كثر القال والقيل بهم، تراضَوْا بقضاء من يدخل من باب بني شيبة، فطلع من هناك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: هذا الأمين قد جاء، فحكّموه فبسط رداءه، ثمّ قال: «**يأتي من كلّ رَبْعٍ من قريش رجل، فرفعوا**

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٧.

الرداء، وأخذ النبيّ الحجر الأسود ووضعه بيديه المباركتين في مكانه»[١].

الكعبة في عهد زين العابدين عليه السلام

وبعد أن خرَّب الحَجّاجُ بن يوسف الثقفيّ الكعبةَ بسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير أرادوا تعميرَها ولمّا أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود، كان كلَّما نصبه عالم من علمائهم أو قاضٍ من قضاتهم أو زاهد من زهّادهم يتزلزل ويضطرب، ولا يستقرّ في مكانه، فجاء الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ، وأخذه من أيديهم، وسمّى الله، ثمّ نصبه فاستقرّ في مكانه وكبّر الناس، وقد أُلهم الفرزدق بقوله:

يـكـادُ يُـمـسِـكُـهُ عـرفـانَ راحـتِـهِ
رُكْـنُ الـحـطـيـمِ إذا مـا جـاءَ يـسـتـلـمُ[٢]

آخر بناء للكعبة

كان آخرُ بناء للكعبة الشريفة، بعد السيل العظيم الذي دخل المسجد الحرام من أبوابه، ثمّ دخل الكعبةَ المكرَّمة عام ١٠٣٩هـ، وكان المؤسّس لهذا البيت هو أحد علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام وهو السيّد زين العابدين الحسيني الكاشاني نزيل مكّة، والمستشهد فيها عام ١٠٤٢هـ، فقد تحدّث السيّد زين العابدين مع الشريف الذي كان متولّياً لشؤون المسجد الحرام، مقنعاً إيّاه أنّ البناء يكون

(١) الأميني، ابراهيم، مكّة، طهران، منشورات مكتب نشر العلم والأدب، ص١١٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٦٢.

بمال أهل الحقّ ومباشرتهم، حتى مع انتسابه ظاهراً إلى السلطان، اقتنع الشريف بذلك أول الأمر، ثم خوَّفه الناس فأعرض عنه.

وذات يوم رأى مسكين في المنام أنه وضعت جنازة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في قِبال الكعبة، وصلّى عليه خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء عليهم السلام، وأنّه قال للسيّد زين العابدين: خذ التابوت وادفنه جوف الكعبة.

قصَّ الشريف المنام للسيد زين العابدين ففسّره له بأنّ الإمام لا يدفنه إلاّ الإمام ومنصب دفن أبي عبد الله عليه السلام كان للإمام زين العابدين، فهو إشارة إلى أنّ وضع الأساس الذي كان من مناصبه قد حُوِّل إليه، أي إلى السيّد زين العابدين. وفعلاً أصبح السيّد زين العابدين يتولّى شؤون عمارة البيت.

وقد ذكر هذا السيّد الشهيد قصّة بنائه للكعبة بتفاصيلها في كتاب سماه «مفرحة الإمام في تأسيس بيت الله الحرام»[(١)].

أسماء الكعبة

وسُمّيت بأسماء عديدة منها:

١ ـ الكعبة:

وقد سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن علّة تسميتها بالكعبة فأجاب «لأنّها وسط الدنيا»[(٢)].

---

(١) أنظر: الأميني، ابراهيم، مكة، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٥٧.

وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن علّة وضع البيت وسط الدنيا، فعلّل بقوله: «**إنّه الموضع الذي من تحته دُحيت الأرض**»(١).

٢. البيت العتيق

وقد سئل الإمام أبو جعفر عليه السلام عن علّة تسميته بالبيت العتيق فقال: «**لأنّه بيت حُرّ عتيق من الناس ولم يملكه أحد**»(٢).

٣. البيت الحرام

وقد علَّل الإمام الصادق عليه السلام هذه التسمية بقوله: «**لأنّه حُرّم على المشركين أن يدخلوه**»(٣).

أركان الكعبة

وبُنيت الكعبة على أركان أربعة لأنّها بحِذاء العرش المربَّع، وذلك لأنّ الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر(٤).

وقد سُمّي كلّ ركن باسم قد يشير إلى العمل المطلوب في ذلك الركن فسُمّي:

- ركن الحجر الأسود بـ(باب الرحمة).
- والركن الشامي بـ(باب التوسُّل).
- والركن اليماني باب التوبة، وهو باب آل محمّد(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص٥٧.
(٢) المصدر السابق، ص٥٩.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق، ص٥٧.
(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، تحقيق المحلاتي، طهران، منشورات المكتبة العلمية، ج١، ص٣٩.

ضيافة الكعبة

هذه هي قصّة الكعبة وتاريخها، وهذه أسماؤها وأسماء أركانها، فما هو نوع ضيافة الله فيها؟

النظر إليها وتبدأُ الضيافة من النظر إلى الكعبة ـ الذي ورد فيه عن النبيّ ﷺ: **«النظر إلى الكعبة حيالَها يهدِم الخطايا هدماً»**[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«من أيسر ما يُنظَرُ إلى الكعبة أن يعطيَه الله بكلّ نظرة حسنة، ويمحي عنه سيّئة ويرفع له درجة»**[٢].

وأيضاً ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لله تبارك وتعالى حول الكعبة عشرون ومائة رحمة، منها ستّون للطائفين، وأربعون للمصلّين، وعشرون للناظرين»**[٣].

وفي بعض الأحاديث ما يدلّ على آثار النظر لكن بشرط معرفة حقّها، فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«من نظر إلى الكعبة عارفاً بحقّها غُفِر له ذنبه وكُفِيَ ما أَهَمَّه»**[٤].

وتستمرّ ضيافة الكعبة في الطواف حولها، وفي أعمال أحبَّها الله تتعلّق بجدرانها الشريفة، وأركانها الطاهرة، ومحيطها المبارك.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٦١.
(٢) المصدر السابق، ص٦١ ـ ٦٣.
(٣) المصدر السابق، ص٦١.
(٤) المصدر السابق، ص٦٥.

الحجر الأسود

نبدأ من تلك الأعمال وبالتحديد من الحجر الأسود الذي لا تُفهمُ ضيافتُه بحقّ إلاّ حينما نتعرَّف على سرِّه المكنون؛ لنكون من العارفين بحق الكعبة.

وسرُّه يبدأ من حين أخذ الله مواثيق بني آدم عليه السلام وهم في صلبه وقد ذكر القرآن قصّة أخذ المواثيق هذه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(١).

إنّه ميثاق التوحيد الذي يعرفه كلّ إنسان بتلك الفطرة التي زرعها الله تعالى في داخل الإنسان، فهو وإن نسي الموقف، فإنّ أثره، وهو معرفة الله وتوحيده، باقٍ في داخله.

حتّى في أولئك الكافرين البعيدين عن الله تعالى تظهر فطرتهم في مواطن، فإذا بهم يشعرون بوجود الله وتتعلّق قلوبهم به.

ألا ترى أنّ الطفل يحبُّ أمّه فطريّاً من دون تعليم معلّم وتربية مربٍّ؟ ولكن إذا وُضع أمام الطفل ألعاب، قد يغفل عن أمّه وينساها لاهياً بتلك الألعاب، فإذا التقط الطفل أثناء لعبه جمرة تؤذيه فإنّ أوّل صوت يصدر عنه هو «**ماما**»، إنّه الشعور الفطريّ الذي يتحرّك عند الاحساس بالخطر، وكذلك المُلحد تنسيه ذنوبُه ربَّه، وتضَعُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

ستاراً بينهما، ولكن عند الخطر يتعلّق قلبه بالله، كذلك البحّار الذي تشرَّف بلقاء الإمام الصادق عليه السلام وطلب منه أن يعرِّفه الله، فقال الإمام للسائل، «**يا عبد الله هل ركبت سفينة قطّ؟**»

قال: بلى.

قال عليه السلام: فهل كسرت بك حيث لا سفينةَ تُنجيك ولا سباحةَ تُغنيك؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا مُنج وعلى الإغاثة حين لا مُغيث»[1].

إنّها ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2].

نعم قد يسترها غبار الخطايا والذنوب حتى يقتربَ العذاب، ويشعرَ الإنسان بالخطر، فترجعَ جليّةً في داخل الإنسان حتى المشرك بالله.

وهذا ما أكّده القرآن الكريم في عديد من آياته.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ

---

(١) شبّر، عبدالله، حقّ اليقين، بيروت، دار الأضواء، ص٢٤ـ ٢٥.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[١].

الميثاق والحجر

وللحجر الأسود عَلاقة بميثاق التوحيد، فقد ورد في روايات أهل العصمة عليهم السلام أنّ الله تبارك وتعالى عُلُوّاً كبيراً، بعد أن أخذ مواثيق العباد، دعا الحجرَ من الجِنّة فأمره فالتقم الميثاق[٢].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أصل هذا الحجر ملَك من عظماء الملائكة عند الله، أودع عنده الميثاقَ ليأتي الخلق في كل سنة يُجدِّدون الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذه الله عزَّ وجلَّ عليهم[٣].

من هنا يقال عند الحجر «أمانتي أدّيتُها وميثاقي تعاهدتُه لتشهدَ لي بالموافاة»[٤].

إنّه يضُرّ وينفع

ومن لطيف ما رُوي حول الحجر الأسود أنّ عمر بن الخطّاب مرَّ عليه فقال: والله يا حجر، إنّا لنعلم أنّك حجر لا تَضُرّ ولا تنفع، إلاّ أنَّا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبُّك فنحن نحبُّك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كيف يا ابن الخطّاب؟! فوالله

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٣٩.
(٣) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت قم، ج١٣، ص٣١٨.
(٤) المصدر السابق، ص٣١٩.

لَيبعثَنَّه الله يوم القيامة وله لسان وشفتان، فيشهدُ لمن وافاه، وهو يمين الله عزَّ وجلَّ في أرضه يبايع بها خلقه». فقال عمر: لا أبقانا الله في بلدٍ لا يكون فيه عليّ بن أبي طالب(١).

سبب سواده

وقد ورد أنّ هذا الحجر المبارك كان أشدَّ بياضاً من اللّبن فاسودَّ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسَّه من أرجاس الجاهليّة ما مسَّه ذو عاهة إلاّ برئ(٢).

الحَطيم

وبين الحجر الأسود وباب الكعبة الشريفة يسمَّى الحطيم، فقد ورد أنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأله عن الحطيم، فقال عليه السلام: «**هو ما بين الحجر الأسود وبين الباب**»، وسأله لِمَ سُمِّيَ الحطيم؟ فقال: «**لأنّ الناس يحطُم بعضهم بعضاً هناك**»(٣).

وقد ورد استحباب الصلاة هناك(٤)، بل ورد في فقه الرضا عليه السلام: «**إن تَهيَّأ أن تصلّي صلواتك كلَّها عند الحطيم فافعل، فإنّه أفضل بقعة على وجه الأرض، والحطيم ما بين الباب والحجر الأسود، وهو الموضع الذي فيه تاب الله على آدم عليه السلام**»(٥).

---

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت، ج١٣، ص٣٢١.

(٢) المصدر السابق، ص٣١٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق الغفاري، منشورات دار الأضواء، بيروت، ج٤، ص٥٢٧.

(٤) المصدر السابق، ص٥٢٦.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٣٠.

وقد ورد أنّ الإمام الكاظم عليه السلام استلمه[١] ممّا يُفيد استحباب استلامه.

الحطيم وشرط الثواب

ولثواب الحطيم الكبير الذي يعبِّر عن ضيافة الله فيه شرطٌ ذكَرُه الإمام أبو جعفر عليه السلام حينما قال: «أتدرون أيَّ البقاع أفضل عند الله منزلة؟».

فقال: «ذاك مكّة الحرام التي رضيها الله لنفسه حرماً وجعل بيته فيها».

ثمّ قال: «أتدرون أيّ البقاع أفضل فيها عند الله حُرمةَ؟

فقال: ذاك المسجد الحرام».

ثمّ قال: «أتدرون أيّ بقعة في المسجد الحرام أفضلُ عند الله حُرمةَ؟ فقال: ذاك ما بين الركن والمقام وباب الكعبة، وذلك حطيم إسماعيل عليه السلام، ذاك الذي كان يدور فيه غنيماته ويصلّي فيه، والله لو أنّ عبداً صفَّ قدميه في ذلك المكان، قام الليل مصلّياً حتى يجيئه النهار، وصام النهار حتى يجيئه الليل، ولم يعرف حقَّنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً»[٢].

باب الكعبة

ورد أنّه يُستحَبُّ عند باب البيت العتيق أن يُقال في الدعاء:

---

(١) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت، ج١٣، ص٣٤٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٣٠.

سائلُك مسكينُك ببابك، عُبَيْدُك بفنائك، فقيرُك نزل بساحتك، تفضَّل عليه بجنّتك(١).

حِجْر إسماعيل عليه السلام وميزاب الرحمة

وهو المكان الذي دَفن فيه إسماعيل عليه السلام أمَّه هاجر، فكره أن يوطأ قبرُها فحجَّر عليها، وفي هذا المكان قبور أنبياء الله تعالى(٢)، كما ورد أنّه موضع شبير وشبر ابني هارون(٣). وقد ورد استحباب الصلاة والدعاء في ذلك الحِجْر المبارك، لا سيّما تحت ميزاب الرحمة. ففي فقه الرضا عليه السلام: «**أكثِرِ الصلاة في الحِجْر وتعمَّدْ تحت الميزاب، وادعُ هناك كثيراً**»(٤).

دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في الحِجْر:

ذكر طاووس الفقيه أنّه رأى الإمام زين العابدين عليه السلام في الحِجْر يصلّي ويدعو: «**عُبيدك ببابك، أسيرُك بفنائك مسكينُك بفنائك، سائلُك ببابك، يشكو إليك ما لا يخفى عليك لا تردّني عن بابك**»(٥).

دعاء القائم عجل الله فرجه الشريف في الحِجْر

وذكر أبو نعيم الأنصاري عن القائم عجل الله فرجه الشريف: كان صلوات الله عليه

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٣١.
(٣) المصدر السابق، ص٢٣٠.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) المصدر السابق، ص١٩٦ ـ ١٩٧.

يقول في سجوده في هذا الموضع ـ وأشار بيده إلى الحِجْر تحت الميزاب: «**عُبيدكَ بفِنائك، سائلُك بفِنائك يسألك ما لا يقدر عليه غيرُك**»[١].

المستجار

وهو الواقع في مؤخَّر الكعبة دون الركن اليماني بقليل[٢]، بينه وبين الباب المسدود في دُبر الكعبة، وسُمّي هذا المكان بالمستجار والمعوَّذ والملتزم.

ويُستحبّ فيه: بسط اليدين على البيت، وإلصاق البدن والخدّ بالبيت والدعاء بـ«**اللهمَّ البيتُ بيتُك، والعبد عبدك، وهذا مكان العائذ بك من النار**».

كما يُستحبّ إقرار العبد هناك لربِّه بما عمل، فقد ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام الوارد فيه هذا العمل: «**فإنّه ليس من عبد مؤمن يُقرُّ لربه بذنوبه في هذا المكان إلاّ غفر الله له إن شاء الله**» وتقول: «**اللهمّ من قِبَلِك الروح والفرج والعافية، اللَّهمَّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي، واغفر لي ما اطلعت عليه مني، وخفي على خلقك**».

ثمّ تستجير بالله من النار، وتخيّر لنفسك من الدعاء..[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٥.

(٢) هذا التحديد مروي من الإمام الصادق عليه السلام أنظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت، ج١٣، ص٣٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص٣٤٦.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه كان إذا انتهى إلى الملتزم قال لمواليه: «**أميطوا عنّي حتى أقرّ لربّي بذنوبي في هذا المكان، فإنّ هذا مكان لم يقرّ عبد لربّه بذنوبه ثمّ استغفر إلاّ غفر الله له**»(١).

وقد ورد في قصّة توبة آدم عليه السلام أنّه لمّا طاف بالبيت وانتهى إلى الملتَزَم قال له جبرائيل: «**يا آدم أَقِرَّ لربك بذنوبك في هذا المكان... . إلى أن قال . فأوحى الله إليه: يا آدم قد غفرت لك ذنبك، قال: يا ربّ ولوُلْدي أو لذريّتي، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا آدم من جاء من ذريتك إلى هذا المكان وأقرَّ بذنوبه، وتاب كما تُبتَ ثمّ استغفر غفرت له**»(٢).

وقد ورد من طرق أهل السنّة: من قام عند ظهر البيت فدعا استُجيب له، وخرج عن ذنوبه كيوم ولدته أمّه.

الركن اليماني

وقرب المستجار يقع الركن اليماني الذي ورد فيه أنّه:

. واقع عن يمين العرش(٣).

. باب من أبواب الجنّة لم يغلقه الله منذ فتحه(٤).

. باب من أبواب الجنّة، مفتوح لشيعة آل محمّد مسدود عن غيرهم(٥).

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت، ج١٣، ص٣٣٩.

(٤) الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام ، المصدر السابق، ص٣٤٢.

(٥) الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام ، المصدر السابق، ص٣٤٣.

ـ باب الأئمّة إلى الجنّة منه يدخلون[١].

ـ فيه نهر من الجنّة تُلقى فيه أعمال العباد[٢].

أعمال الركن اليماني

١ ـ ويُستحبّ في هذا الركن التزامه. وقد رُوي عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: «**ما أتيتُ الركن اليماني إلاّ وجدت جبرئيل عليه السلام قد سبقني إليه يلتزمه**»[٣].

وعن الباقر عليه السلام: «**كان رسول الله ﷺ لا يستلم إلاّ الركنَ الأسود واليماني، ثمّ يقبّلهما ويضع خدَّه عليهما، ورأيت أبي يفعله**»[٤].

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن استلام الركن فقال: «**استلامه أن تُلصق بطنك به**»[٥].

٢ ـ كما يُستحبّ الدعاء عند هذا الركن المبارك.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله عزَّ وجلَّ وكَّل بالركن اليماني ملكاً هجّيراً يؤمّن على دعائكم**»[٦].

وقد فسَّر الهِجّير بأنّه ليس عمل إلاّ التأمين على الدعاء[٧].

---

(١) الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، المصدر السابق، ص٣٤٢.
(٢) الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، المصدر السابق، ص٣٣٩.
(٣) المصدر السابق، ص٣٣٨.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) الحر العاملي، محمد حسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت، ج١٣، ص٣٤٢.
(٧) المصدر السابق.

وورد أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: «... **ما من مؤمن يدعو بدعاء عنده إلاّ صعدَ دعاؤه حتى يلصقَ بالعرش، ما بينه وبين الله حجاب**»[1].

ومن الأدعية الواردة عن الركن اليماني، ما ورد أن الإمام الباقر عليه السلام يدعو به حين استلامه: «**اللهم تب عليَّ حتى أتوب واعصمني حتى لا أعود**».

شقّ ولادة الأمير عليه السلام

وعند الركن اليماني شقٌّ يعود لحدث تاريخي زاد من شرف الكعبة المكرَّمة، وذلك حينما أقبلت فاطمة بنت أسد، وهي حاملٌ في شهرها التاسع، وقد أخذها الطّلْق، فوقفت مواجهة البيت العتيق وقالت: «**يا ربّ، إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الذي في بطني إلاّ ما يسَّرت عليَّ ولادتي**».

قال يزيد بن قعنب الذي كان يشاهدها ويسمعها: فرأيت البيت قد انشقّ عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، وعاد إلى حاله، فعلمنا أنّ ذلك من أمر الله... ثمّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(١) المصدر السابق، ص٣٤٣.

فكان عليّ عليه السلام وليد الكعبة الأوحد الذي شرُّف الله الكعبة بولادته فيها.

وقد أنشد شاعر أهل البيت الحميري (ت ١٧٣هـ) في هذه الحادثة قائلاً:

وَلَدَتْهُ في حَرَمِ الإلهِ وأَمنِه
والبيتِ حيث فِناؤهُ والمسجدُ
بيضاءُ طاهرةُ الثيابِ كريمةٌ
طابَتْ وطابَ وليدُها والمولدُ
في ليلةٍ غابَتْ نحوسُ نجومِها
وبدَتْ مع القمرِ المنيرِ الأسعدُ
ما لُفَّ في خِرَقِ القوابل مثلُهُ
إلاّ ابنُ آمنةَ النبيُّ محمّدُ[1]

إلى هنا أنهينا عرض جملة من الأعمال التي اختُصّت بها الكعبة الشريفة في ضيافة الله فيها لعباده، وننتقل إلى العمل الأوّل في المسجد الحرام من أعمال الحاجّ والمعتمِر، ألا وهو الطواف.

---

(١) أنظر: الأوردبادي، علي وليد الكعبة، منشورات الرضوي، ص٢١.

كيف يَرجِعُ الحاجُّ كما ولدتْه أُمُّه؟

الطواف

وبعد أن ذكرنا مشاهد اللُّطف الإلهي في أعمال الكعبة وما حولها، نبدأ الحديث في الضيافة الربانيّة الأولى في أعمال الحجّ والعُمرة في داخل المسجد الحرام، وهي التي تتحقّق بالطواف حول البيت العتيق حيث:

- يُباهي الله بالطائفين(١).
- ويُنزل عليهم كلّ يوم ستين رحمة(٢).
- ويُعطيهم بكلّ خطوة حسنة.
- ويَمحي عنهم بكلّ خطوة سيّئة.
- ويرفع لهم بكلّ خطوة درجة(٣).

ومن مظاهر الضيافة الربانيّة حول الكعبة ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام: **«فإذا طُفْتَ أسبوعاً كان لك بذلك عند الله عزَّ وجلَّ عهدٌ وذكرٌ يستحي منك ربُّك أن يعذّبك بعده».**

فإذا تكرّر الطواف من العبد منحه الله العطيَّة الكبرى الواردة

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة في الكتاب والسنَّة، منشورات دار الحديث، ط. الأولى، إيران، ص١٨٩ (الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله).

(٢) المصدر السابق نفسه (الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله).

(٣) المصدر السابق نفسه (الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله).

في الحديث: «**من طاف بالبيت خمس مرات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمُّه**».

أدب الطواف

وللضيافة آداب على الضيف، وفي ضيافة الطواف لا بدَّ للطائف أن يتأدَّب بباطنه وظاهره، أمّا باطنه فينوي وهو يسير، وموضع قلبه إلى جهة الكعبة، أنّ قلبه سيبقى مع الله لا يُدخل فيه أحداً غيره، فيمشي بوقار بين البطء والسرعة(١)، ولا يتكلّم إلاَّ بخير(٢)، وخير الكلام هو القرآن الكريم، فيتلو في طوافه آياته، ومن خير الكلام ما ذُكر في روايات أهل العصمة عليهم السلام، نذكرها تباعاً:

١. ذكر الله

فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**من طاف بالبيت سبعاً، ولا يتكلّم إلاَّ بسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّةَ إلاَّ بالله، مُحيت عنه عشر سيّئات، وكُتبت له عشر حسنات، ورُفع له بها عشرُ درجات...**»(٣).

٢. الصلاة على محمّد وآله

فقد سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: دخلت الطواف الفريضة، فلم يُفتح لي شيء من الدعاء إلاَّ الصلاة على محمّد وآل

---

(١) المصدر السابق، ص١٩١ (الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام).

(٢) المصدر السابق (الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

(٣) المصدر السابق، ص١٩٠ ـ ١٩١.

محمّد، وسعيت فكان كذلك، فقال عليه السلام: «ما أُعطِيَ أحد ممّن سأل أفضل ممّا أُعطيت»[١].

٣. الدعاء

وقد وردت أدعية كثيرة تُقال في الطواف.

منها: ما رُوي في جواب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لخديجة الكبرى عليها السلام حينما سألته: ما أقول وأنا أطوف بالبيت؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«اللهمّ اغفر لي ذنوبي وخطاياي وعمدي، وإسرافي في أمري، إنّك إن لا تغفر لي تُهلكني»**[٢].

ومنها: ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام بقوله: طف بالبيت سبعة أشواط، وتقول في الطواف: **«اللهمَّ إنّي أسألك باسمك الذي يُمشى به على طُلَلِ الماء[٣]، كما يُمشى به على جَدَد الأرض[٤]، وأسألك باسمك الذي يهتزّ له عرشك، وأسألك باسمك الذي تهتزُّ له أقدام ملائكتك، وأسألك باسمك الذي دعاك به موسى من جانب الطور فاستجبت له، وألقيتَ عليه محبَّةً منك، وأسألك باسمك الذي غفرتَ به لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأتمَمْت عليه نعمتك أن تفعل بي كذا.. ما أحببت من الدعاء»**.

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٩.

(٣) طلل الماء: أي ظهره.

(٤) جَدد الأرض: أي وجه الأرض.

وكلّما انتهيت إلى باب الكعبة صلّ على النبيّ ﷺ، وتقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: «**ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار**».

وقل في الطواف: «**اللهمّ إنّي إليك فقير، وإنّي خائف مستجير، فلا تغيِّر جسمي، ولا تبدِّل اسمي**»[1].

صلاة الطواف

وينتهي من طوافه ليصلّي خلف مقام إبراهيم عليه السلام صلاة الطواف التي ورد أنّ ثوابها أجْرُ ألفي ركعة مقبولة.

ويدعو بعدها بما ذكره الإمام الصادق عليه السلام: «**اللهمّ ارحمني بطواعيتي إيّاك، وطواعيتي رسولك ﷺ، اللَّهمَّ جنِّبني أن أتعدَّى حدودك، واجعلني ممّن يُحبُّك، ويحبّ رسولك وملائكتك وعبادك الصالحين**»[2].

سرّ مقام إبراهيم عليه السلام

وكانت صلاة الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام لكرامة في هذا المقام حيث وقف خليل الله إبراهيم عليه ونادى بأعلى صوته بما أمره الله عزَّ وجلَّ، فلما تكلَّم بالكلام لم يحتمله الحجر، ففرقت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم عليه السلام رجليه من الحجر قلعاً[3]، وما تزال آثار قدمي إبراهيم عليه السلام في المقام إلى يومنا هذا.

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٣٢.

آداب الصلاة والمقام

وفي رواية شبلي عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما يدلّ على آداب باطنيّة للوقوف والصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام، فقد سأله الإمام عليه السلام: «**نويت، حين وقفت عند مقام إبراهيم، أنّك وقفت على كلّ طاعة، وتخلّفت عن كلّ معصية؟**» قال شبلي: لا.

قال عليه السلام: «**فحين صلّيت ركعتين، نويت أنّك اتصلت بصلاة إبراهيم، وأرغمت أنف الشيطان لعنه الله؟ قال شبلي: لا**».

قال عليه السلام: «**... لا وقفت عند المقام، ولا صلّيت فيه ركعتين**»[1].

ماء زمزم

قبل أن يَشرع الحاجّ بالسعي، ينبغي أن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي توجَّه بعد صلاة الطواف إلى ماء زمزم، وهو الماء الموصوف على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيرُ ماء على وجه الأرض ماءُ زمزم**»[2].

قصّة ماء زمزم

وتعود قصّة هذا الماء إلى ابتلاء الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام حينما أمره بترك زوجته هاجر وطفله إسماعيل عليه السلام بالقرب من مكان البيت العتيق، حيث لا ماء ولا بشر هناك. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لمّا ارتفع النهار عطش إسماعيل**

---

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج١٠، ص٣٧٢.

(٢) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص١١٧.

وطلب الماء، فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى ونادت: هل في الوادي من أنيس؟ فغاب عنها إسماعيل، فصعدت على الصفا، ولمع لها السراب في الوادي، وظنّت أنّه ماء، فنزلت من بطن الوادي وسعت، فلمّا بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل، ثمّ لمع لها السراب في ناحية الصفا، فهبطت إلى الوادي تطلب الماء، فلمّا غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت، حتى فعلت ذلك سبع مرات، فلمّا كان في الشوط السابع - وهي على المروة - نظرت إلى إسماعيل، وقد ظهر الماء من تحت رجله، فعادت حتى جمعت حوله رملاً، فإنّه كان سائلاً فزمّته بما جعلته حوله، فلذلك سميت زمزم»(١).

آثار ماء زمزم

ورد أنّ ماء زمزم له آثار عديدة جعلها الله تعالى فيه كرامة لعائلة التضحية إبراهيم وزوجته وابنه عليهم السلام، فمن هذه الآثار أنّه:

- «دواء لما شُرب له»(٢).
- «أمانٌ من كلّ خوف وحزن»(٣).
- يؤثّر في إفاضة الله تعالى للعلم والرزق كما يظهر من بعض الأدعية الآتية.

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص١١٥.

(٢) المصدر السابق، ص١١٧.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٩، ص٢٤٥.

آداب ماء زمزم

من آداب الضيافة في أعمال الحجّ والعُمرة أن يُشرب من ماء زمزم قبل الخروج إلى الصفا، ويُستحبّ عند الشرب أن يُقال: «**اللهمّ اجعله لي عِلْماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كلّ داءٍ وسَقَم**»[١].

كما ورد استحباب أن يقول إذا شرب منه: بسم الله، الحمد لله، الشكر لله[٢].

وإضافةً إلى الشرب يُستحبّ لمن انتهى طوافه وصلاته أن يصبّ من هذا الماء على رأسه وظهره وبطنه ويدعو بالدعاء السابق «**اللهمّ اجعله لي عِلْماً...**»[٣].

ماء زمزم في رواية شبلي

وفي الرواية الواردة عن الإمام السجّاد عليه السلام قال فيها لشبلي وهو يبيِّن البعد الباطني للشرب من ماء زمزم، قال عليه السلام فيها: «**أشرفت على بئر زمزم وشربت من مائها؟**»

قال شبلي: «**نعم، قال** عليه السلام : **أنويت أنّك أشرفت على الطاعة وغضَضْتَ طرفك عن المعصية؟**»

قال شبلي: لا ، قال عليه السلام : «**فما أشرفت عليها، ولا شربت من مائها!**»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٤٥.

(٢) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص١١٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج١٠ص٣٧٢.

السعي بين الصفا والمروة

ويتجّه الحاجّ والمعتمر إلى جبل الصفا ليبدأ سعيه بين الجبلين اللَّذَيْن جعلهما الله تعالى من شعائره في قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَآئِرِ اللهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[١].

وقد ورد أنّ تاريخ الصفا والمروة واسميهما يرجعان إلى هبوط آدم وحوّاء على الأرض، حيث هبط آدم على الجبل الذي سمّاه الله تعالى بالصفا من قوله: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾[٢]، وهبطت حوّاء على الجبل الذي سمَّاه الله تعالى بالمروة من اسم المرأة.

فضل المسعى

ويسعى ضيف الله بين الصفا والمروة (مسافة ٤٠٠ متر تقريباً) في بقعة مباركة من الله تعالى، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من بقعة أحبُّ إلى الله من المسعى...**»[٣].

حكمة السعي

ورد سابقاً أنّ هاجر قامت بالسعي بين الصفا والمروة، إلاَّ أنّ بعض الروايات تدلّ على ارتباط السعي بالنبيّ إبراهيم عليه السلام أيضاً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**صار السعي بين الصفا**

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٤، ص٤٣٤، حديث ٣.

والمروة؛ لأنّ إبراهيم عرَضَ له إبليس، فأمر جبرئيل عليه السلام **فشدَّ عليه فهرب منه، فجرت السنَّة. يعني بالهرولة»**[١].

وتدلّ بعض الروايات على أنّ الله تعالى أراد من خلال فريضة السعي أن يُذلَّ المتجبِّرين لما للمشي والهرولة من شعور بالذِّلَّة أمام الله تعالى، فقد رُوي أنّ الإمام الصادق عليه السلام سُئِل: لِمَ جُعِلَ السعي؟ فقال عليه السلام: **«مذلَّة للجبّارين»**[٢].

ثواب السعي

وفي ثواب السعي تحدَّث النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: **«الحاجّ.. إذا سعى بين الصفا والمروة، خرج من ذنوبه»**[٣].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: **«الساعي بين الصفا والمروة، تشفع له الملائكة، فتُشفّع فيه بالإيجاب»**[٤]، أي أنّها تُقبل شفاعتُهم بإيجاب الله تعالى على نفسه في حقّه.

آداب السعي

يُستحبّ للساعي أن يقف قبل سعيه على الصفا مستقبلاً الركن الذي فيه الحجر الأسود، وهناك يحمُد الله ويُثني عليه.

- ثمّ يكبّر الله سبع مرّات.
- ثمّ يحمُده سبع مرّات.

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٠٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٤، ص٤٣٤، حديث ٣.

(٣) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٠٨.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ـ ثمّ يهلّله (لا إله إلاّ الله) سبع مرّات، ثمّ يصلّي على النبيّ وآله عليهم السلام .

ـ ثمّ يقول: «**الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا، والحمد لله الحيّ القيّوم، والحمد لله الحيّ الدائم**» ثلاث مرّات.

ـ ثمّ يقول: «**أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، لا نعبد إلاّ إيّاه مخلصين له الدين، ولو كره المشركون**» ثلاث مرّات.

ـ ثمّ يقول: «**اللهمّ إنّي أسألك العفو والعافية، واليقين في الدنيا والآخرة**» ثلاث مرّات.

ـ ثمّ يقول: «**اللهمّ آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار**» ثلاث مرّات.

ـ ثمّ يكبّر الله مئة مرّة.

ـ ثمّ يهلّل الله مئة مرّة.

ـ ثمّ يحمد الله مئة مرّة.

ـ ثمّ يسبّح الله مئة مرّة.

ـ ثمّ يقول: «**لا إله إلاّ الله وحدَه، أنجز وعدَه، ونصر عبدَه، وغلب الأحزاب وحدَه، فله الملك، وله الحمد وحدَه وحده، اللّهمّ بارك لي في الموت، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من ظلمة القبر ووحشته، اللّهمّ أظلّني في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلاّ ظلُّك**».

ـ ثمّ يقول: «**أستودع الله الرحمن الرحيم الذي لا يضيّع ودائعَه نفسي وديني وأهلي، اللّهمّ استعملني على كتابك وسنّة نبيّك،**

وتوفَّني على ملَّته، وأعذني من الفتنة».

- ثمّ يكبّر اللّه إحدى عشرة مرّة.

وقد عقَّب الإمام الصادق عليه السلام بعد أن ذكر هذا العمل الطويل المستحبّ قبل البدء بالسعي بقوله عليه السلام: «**فإن لم تستطع هذا فبعضه**»[1].

وقد ورد ذكر مختصر يقال في مَنْسَكِ السعي هو ما ذكره أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام إذ قال: كنت وراء أبي الحسن موسى عليه السلام على الصفا - أو على المروة - وهو لا يزيد على حرفين: «**اللهم إنّي أسألك حسن الظنّ بك في كلّ حال، وصدق النيَّة في التوكّل عليك**»[2].

سرُّ السعي الباطني

وبيَّن الإمام السجَّاد سرَّ السعي الباطنيّ لشبلي حينما سأله: فحين سعيت نويت أنَّك هربت إلى اللّه، وعرف ذلك منك علاَّم الغيوب؟

قال شبلي: لا، قال عليه السلام: «**فما... سعيت**»[3].

التقصير

وينتهي الساعي في سعيه في صخرة المروة ليُحِلَّ من إحرامه بتقصير شعره، وهو يأمل أن تكون الشعرات الساقطة تتلألأ بأنوارها يوم القيامة.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٣) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج١٠، ص٣٧١.

وبهذا يُنهي الضيف رحلة الضيافة الأولى ليبدأ رحلته الثانية حينما يُحْرِم من مكَّة ويلبِّي دعوة الله تعالى ويتوجّه في ضيافة الله تعالى إلى عرفة، فهلمَّ معنا إلى هناك.

وقوف عرفات

بعد أن أذنب العبد وعصى ربَّه يتوجَّه إلى الله تعالى قاصداً مدينته المقدَّسة ملبّياً دعوة الضيافة الربَّانيّة، مريداً بذلك محْوَ الذنوب، والعودة كما ولدته أمُّه.

يقف عند الحجر الأسود ليصافحه ويستلمه مؤكّداً على ميثاق التوحيد، ويصلّي عند الحطيم معلناً توبته إلى الله في مكان توبة أبيه آدم عليه السلام، ويدعو في حِجْر إسماعيل عليه السلام تحت ميزاب الرحمة، لعلَّ رحمة الله تناله، ويبسُط يديه على حائط المستجار مقرّاً بذنوبه، عسى أن يمحوَها ربُّه، ويستلم الركن اليماني سائلاً عصمة التوبة آملاً تأمين الملَك الهِجِّير على دعائه، ويصلّي خلف مقام إبراهيم عليه السلام معلناً عبوديّته لله، ويسعى بين الصفا والمروة يهرب من الله إلى الله. ولكن مع كلّ هذا تبقى كلمة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تشدّه نحو متَّجه آخر، وذلك حينما يقول صلى الله عليه وآله وسلم: **«من الذنوب ذنوب لا تُغفر إلاّ بعرفات»**[1].

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٢٠.

لِمَ سُمِّيت عرفات؟

وفي وجه تسمية ذلك المكان بعرفات ورد حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه: **«إنّ جبرائيل خرج بإبراهيم صلوات الله عليه يوم عرفة، فلمّا زالت الشمس قال له جبرائيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسُمّيت عرفات لقول جبرئيل: اعترف، فاعترف»**[1].

وقفة مع ذنوب الأنبياء عليهم السلام

تعرّضنا سابقاً لمعصية آدم عليه السلام، والآن لذنب إبراهيم عليه السلام، كما ورد في القرآن نسبة ذنوب إلى بعض أنبياء الله تعالى، مع أنّنا نعلم أنّ الأنبياء هم صفوة البشر والمنتخبون من بين الناس لصفائهم الروحي، وطهارتهم القلبيّة وانصياعهم لأوامر الله تعالى، وهم على رأس المخلَصين الذين لا طاقة لإبليس أن يغويهم، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم الناقل لقول إبليس: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

فإذا كانوا على قمّة المخلَصين، ولا يمكن لإبليس أن يدخل في حُرَم أنفسهم الطاهرة، فما معنى نسبة الذنوب إليهم؟

إنّه بحث عقائديّ بحاجة إلى تفصيل، ولكن أشير بشكل مختصر إلى جواب ذلك فأقول: حينما نريد أن نحكم على عمل

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٢.

(٢) سورة الحجر، الآية ٤٠.

الإنسان أنّه في أيّ درجة من الحسن أو القُبح فلا بدّ أن نراعي خصوصيّة الإنسان العامل، فقد يصدر عمل عن إنسان بدوي يعيش في الصحراء نعتبره حسناً وجيّداً، ولكنّ نفس هذا العمل لو صدر عن إنسان مدنيّ يعيش حضارة المدينة فقد نحكم بقبحه، وهكذا فلو أنّ فعلاً صدر عن إنسان عاديّ فإنّنا قد نراه مناسباً، ولكن لو صدر من عالم كبير له شأنه فإنّنا قد نراه قبيحاً أشدّ القبح. هذا الأمر بصورة أشدّ وأقوى نجده في أنبياء الله تعالى؛ فهم لمكانتهم المقرَّبة من الله تعالى يَعتبرون بعض أفعالهم ذنوباً مع أنّها بالنسبة إلينا تكون حسنة، وذلك لأنّ النبيّ يعتبر أنّ حالة الوصال والعشق مع الله في مناجاته والتوجّه إليه هي الحالة التي يجب أن يحقّقها دائماً، فإذا اقتضت الظروف أن ينشغل عن هذه المناجاة وذلك التوجّه الخاصّ بالتحدّث مع الناس لإرشادهم وهدايتهم والقيام بوظيفته فإنّه يعدّ فعله هذا ذنباً لأنّه ليس هو العمل الأوّليّ.

ولتقريب الفكرة أطرح المثال التالي: لو أنّ إنساناً أحبَّ آخر حبًّا شديداً، كما يُحكى ذلك في قصّة قيس وليلى وغيرها، تكون أولى حالة عند هذا الإنسان أن يجلس قرب حبيبه يحدِّثه ويعبِّر له عما يكنّه قلبه له، فلو أنّ الحبيب كان في هذا المجلس العشقي فمرضت أمّه وكانت تحتاج إلى الدواء، هنا لا بدّ أن يترك حبيبه ويذهب لإعطاء والدته الدواء، فلو فعل ذلك، فهذا العمل بنظر الناس حسن وجيّد، ولكنَّه حينما يرجع إلى حبيبه فإنّه يعتذر إليه أشدَّ اعتذار،

لأنّه ترك حالة الوصال والعشق معه، ويعتبر وكأنّ ما فعله هو ذنبٌ في حقٍّ حبيبه.

من هذا نفهم حال الأنبياء في علاقتهم بالله، بل هي أشد وآكد، وهذا ما يوضّحه لنا الحديث المعروف: «**حسنات الأبرار سيّئات المقرَّبين**»، هكذا نفهم ذنوب الأنبياء عليهم السلام.

وهكذا كان ذنب إبراهيم عليه السلام الذي قال له جبرائيل في عرفة: «**اعترف بذنبك**».

ولنعد إلى عرفات.

مكانة عرفة وأهلها

إن الوقوف بعرفة، الركن الأساس في أعمال الحجّ، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبيِّن ذلك: «**الحجّ عرفات، الحج عرفات، الحجّ عرفات**»[(١)].

ففي الحديث النبويّ: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ يباهي ملائكته عشيّة عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثاً غُبْراً**»[(٢)].

عشيّة عرفة

ويُستحبّ للحاجّ أن يكون عشيّة عرفة بالموقف ذاكراً الله تعالى ليكون من أهل الكرامة والمباهاة.

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢١٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢١٣.

فعن الرسول الأكرم ﷺ: **«ما من مسلم يقف عشيّة عرفة بالموقف فيستقبل القبلة بوجهه، ثمّ يقول: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير مئة مرّة، ثمّ يقرأ قُلْ هو الله أحد مئة مرّة، ثمّ يقول: (اللهمّ صلّ على محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد وعلينا معهم، مائة مرّة) إلاّ قال الله تعالى: يا ملائكتي، ما جزاء عبدي هذا؟ سبّحني وهلّلني، وكبّرني، وعظّمني، وعرفني، وأثنى عليَّ، وصلّى على نبيّي. اشهدوا ملائكتي أنّي قد غفرت له، وشفّعته في نفسه، ولو سألني عبدي هذا لشفّعته في أهل الموقف كلّهم»**(١).

يوم عرفة والدعاء

إنّ يوم عرفة هو يوم الدعاء، حتى ورد أنَّ من خاف أنْ يضعفه الصوم عن الدعاء في هذا اليوم فليترك الصوم ويدعو الله تعالى، وقد ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: **«إذا كان يوم عرفة لم يردّ سائل»**.

ومن أروع الأدعية الواردة عن أهل العصمة عليهم السلام هو دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة، ذو المضامين العالية التي تشهد أنّها وردت من الأطهار الكرام عليهم السلام.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٠.

شروط عرفة

وشرط الداعي في يوم عرفة، لينال الكرامة الإلهيّة والمِنحة الربانيّة، أن يثق بالله الثقة التامّة، ويتيقّن من الإجابة الإلهيّة، وإلاَّ فإنّ الأمر سينقلب عليه.

إذ ورد أنّ أحدهم سأل النبيّ قائلاً: أيُّ أهل عرفات أعظم جُرماً؟ فقال ﷺ: **«الذي ينصرف من عرفات وهو يظنّ أنه لم يُغفر له»**[١].

وقد حدَّث النبيّ الأعظم ﷺ عن شروط المغفرة في عرفة بقوله:

«من وافى بعرفة فسلِم من ثلاث:
ـ من أُذنه لا تسمع إلاَّ إلى الحقّ.
ـ وعينيه لا تنظران إلاَّ إلى حلال.
ـ ولسانه لا ينطق إلاَّ بحقّ.
غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

قصّة داعٍ في عرفة

ومن لطيف ما رُوي في عرفات، ما حكاه أحدهم عن أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ويدعى عبد الله، فقال: **«رأيت عبد الله بالموقف، فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال مادًّا يديه إلى السماء، ودموعه تسيل على خدّيه حتى تبلغ الأرض،**

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٢٠.

فلمّا انصرف قلت له: يا أبا محمّد، ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك، قال عبد الله: والله ما دعوت إلاّ لإخواني؛ وذلك أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أخبرني أنّه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مئة ألف ضعف مثله، فكرهت أن أدع مئة ألف ضعف مضمونة لواحد لا أدري يُستجاب أم لا».

قصّة جازع في عرفة

ومقابل هذا الداعي الواعي في عرفات رجل سئل عنه الإمام الكاظم عليه السلام، فقد ورد أنّ أحدهم سأله عن رجل وقف بالموقف فأتاه نعيُ أبيه أو نعيُ بعض وُلْده قبل أن يذكر الله بشيء أو يدعو، فاشتغل بالجزع والبكاء عن الدعاء ثمّ أفاض، فقال عليه السلام: **«لا أرى عليه شيئاً وقد أساء، فليستغفر الله، أما لو صبر واحتسب لأفاض من الموقف بحسنات أهل الموقف جميعاً من غير أن ينقص من حسناتهم شيء».**

سرّ عرفة

ويتابع الإمام السجَّاد أسئلته لشبلي وهو يبيِّن له سرَّ مناسك الحجّ فيقول له: هل عرفت، بموقفك بعرفة، معرفة الله سبحانه أَمْرَ المعارف والعلوم، وعرفتَ قبض الله على صحيفتك، واطِّلاعَه على سريريتك وقلبك؟

قال شبلي: لا. قال عليه السلام: **«فما وقفت بعرفة»**[1].

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج١٠، ص٣٧٢.

الوقوف في المشعر الحرام

وبعد غروب الشمس ينزل الحاجّ إلى المشعر الحرام الذي سُمِّي بالمزدلفة، لأنّ جبرائيل قال لخليل الله إبراهيم عليه السلام بعد غياب الشمس ازدلف، ويبقى الحاجّ هناك إلى طلوع الشمس.

ثواب الوقوف بمزدلفة

ويكفي في بيان الثواب العظيم قول النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو يعلم أهل الجمع بمن حلّوا أو بمن نزلوا لاستبشروا بالفضل من ربِّهم بعد المغفرة**»(١).

وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الناس عن جزيل ثواب هذا الوقوف حينما طلب من بلال أن يسكت الناس، ثمّ قال: «**إنّ الله تطوَّل عليكم في جمعه هذا، فوهب مُسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنَكم ما سأل، ادفعوا باسم الله**»(٢).

آداب الوقوف

❖ يُستحبّ تأخير صلاة المغرب لتصلَّى مع العشاء في المزدلفة بأذان واحد وإقامتين.

❖ كما ورد الحثّ على إحياء تلك الليلة في قول الإمام الصادق عليه السلام: «**وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة فافعل، فإنّه بلغنا أنّ أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين، لهم دويّ**

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٢٣.

(٢) المصدر السابق.

كدويّ النحل، يقول الله جلَّ ثناؤه: أنا ربُّكم، وأنتم عبادي، أدَّيتم حقِّي، وحقٌّ عليَّ أن أستجيب لكم، فيحطّ الله تلك الليلة عمَّن أراد أن يحطّ عنه ذنوبه، ويغفر لمن أراد أن يغفر له»(١).

❖ وعند الفجر يُستحبّ بعدَ الصلاة أن يحمُدَ الحاجّ ربّه، ويثني عليه، ويذكر من آلائه وبلائه ما يقدر عليه، ثمّ يصلّي على النبيّ ﷺ ويقول: **«اللهمّ ربَّ المشعر الحرام، فُكَّ رقبتي من النار، وأوسع عليَّ من رزقك الحلال، وادرأ عنّي شرَّ فسقة الجنِّ والإنس، اللَّهمَّ أنت خير مطلوب إليه، وخير مدعوٍ، وخير مسؤول، ولكلِّ وافدٍ جائزة، فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تُقيلَني عثرتي، وتقبل معذرتي، وأن تجاوز عن خطيئتي، ثمّ اجعل التقوى في الدنيا زادي»**(٢).

❖ كما يُستحبّ أن يأخذ حصى الجِمار من المزدلفة ليتهيّأ للرجم بها في مِنى.

الآداب الباطنيّة في أعمال مزدلفة

وأكمل الإمام السجاد حديثه مع شبلي فسأله: مشيت بمزدلفة ولقطت فيها الحصى، ومررت بالمشعر الحرام؟ قال شبلي: نعم.

قال عليه السلام: فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى نويت

(١) المصدر السابق، ص٢٢٥.
(٢) المصدر السابق نفسه.

أنّك رفعت عنك كلّ معصية وجهل، وثبّتَّ كلّ علم وعمل؟ قال شبلي: لا.

قال عليه السلام: فعندما مررت بالمشعر الحرام نويت أنّك أشعرت قلبك شعار أهل التقوى، والخوف لله عزَّ وجلَّ؟ قال شبلي: لا.

فقال عليه السلام: **«لا مشيت بالمزدلفة، ولا رفعت عنها الحصى، ولا مررت بالمشعر الحرام»**[1].

سرّ الوقوف في المشعر الحرام

إنّ سرّ هذا المنسك الإلهيّ في المزدلفة يرتبط بقصّة خليل الله إبراهيم عليه السلام التي شهدتها تلك الأماكن المباركة، فلنستحضر قصّة إبراهيم عليه السلام لنفهم سرَّ المنسك.

ففي المشعر الحرام كان يرافق إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره على ما قيل، وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خَلْقاً وخُلُقاً، وفي جبينه نور من خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، يتلألأ كالضوء، وكان قلب إبراهيم عليه السلام قد تعلَّق بإسماعيل أشدّ تعلّق، لا سيَّما أنّه قد رزق به بعد شيخوخته وفَناء عمره عقيماً[2].

هناك في المشعر الحرام أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام في المنام أن يذبح ولده الحبيب إسماعيل عليه السلام، ولما انتهى إبراهيم

(١) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج١٠، ص٣٧٣.

(٢) انظر: اللوساني، حسن، تواريخ الأنبياء، منشورات دار الاتحاد، بيروت، ص٨٢.

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإسماعيل وأمّه إلى منى أمر هاجر بالذهاب إلى مكّة والطواف حول البيت العتيق وبقي مع ولده إسماعيل.

تضحية العائلة

وعند الجمرة الوسطى استشار إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولده «**قال يا بني إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى**». وبكلّ إيمانٍ وثبات كان جواب إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿**قال يا أبة قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾(١).

وبدأ إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتنفيذ الأمر الإلهي ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾(٢)، قيل: وضع جبينه على الأرض؛ لئلاّ يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء(٣).

وأقبل شيخ وقال يا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما تريد من الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله! تذبح غلاماً لم يعصِ الله طرفة عين؟! فقال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إنّ الله أمرني بذلك، فقال: ربّك ينهاك عن ذلك. وإنّما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ويلك، إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به، ثمّ قال (له الشيخ): يا إبراهيم إنّك إمامٌ يُقتدى بك، وإنّك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم، فلم يكلّمه(٤)، ورماه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسبع

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.

(٣) الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء، منشورات دار الأعلمي، بيروت، ص١٤٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٥١، وهي رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

حُصيّات بأمر جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ففرَّ اللعين من أمامه واختفى[1].

ولمَّا يئس إبليس من إغواء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ظهر للغلام ـ على ما قيل ـ وأراد أن يوسوس له لعلَّه يعصي أمر ربِّه وأمر أبيه، ولا يسلّم نفسه للذبح، وأخذ يلحّ عليه بالهرب والعصيان، وإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يزداد بذلك إلاَّ تسليماً وخضوعاً للذبح، إلى أن رماه أيضاً بسبع حَصَيات في موضع الجمرة الأخيرة، وهرب اللّعين منه يائساً.

ولحق إبليس بهاجر بحذاء موضع البيت، ليوسوس لها وقال لها: يا أمة اللّه، من هذا الشيخ الذي رأيته في موضع كذا وصفته كذا وكذا؟!

قالت: ذاك بعلي.

قال اللعين: فرأيت معه وصيفاً ـ أي خادماً ـ صفته كذا وكذا.

قالت: ذاك ابني.

قال: فإنّي رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه.

فنهرته هاجر وقالت: كذبت أيها الرجل، إنّ إبراهيم أرحم الناس، فكيف بابنه يذبحه؟!

قال اللعين: فوربِّ السماء والأرض، وربّ هذا البيت، لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية ليذبحه.

قالت: ولِمَ؟ قال: زعم أنّ ربّه أمره بذلك.

---

(١) اللوساني، حسن، تواريخ الأنبياء، ص٨٣.

قالت: فحقٌّ له أن يطيع ربَّه[١]، فكانت التضحية تضحية عائلة، أب وابن وأمّ.

الفداء

وأخذ إبراهيم المدية وهو يستمع إلى وصايا ابنه إسماعيل:

- ارفق بأمّي من بعدي.

- خمِّر وجهي (- أي استره بخمار - كي لا تمنعه شفقة الأبوّة عند الذبح).

- اشدد وثاقي وشُدَّ رباطي حتى لا أضطرب عند الذبح.

- اكفف عنِّي ثيابك كي لا تتلطَّخ بشيء من دمي فتراه أمّي.

- اشحذ شفرتك وأسرع مَرَّ السكين على نحري ليكون أهون عليَّ.

- وأخيراً بلِّغ أمّي السلام[٢].

وأقبل إبراهيم يقبِّل خدّ ولده ويقول له: نِعم العون أنت، يا بُنيَّ، على أمر الله!

ثمّ فرش له عند الجمرة الوسطى... ثم جرَّ عليه المدية، وحينها أمر الله مَلَكَه جبرائيل فقلب المدية على قفاها، ونودي من ميسرة مسجد الخيف: أن يا إبراهيم قد صدَّقْتَ الرؤيا[٣]، وأتى جبرائيل بكبْش وضعه مكان الغلام وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

---

(١) المصدر السابق، ص٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص٨٤.

(٣) الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء، ص١٥١.

أعمال منى

ويتوجَّه الحاجّ بعد طلوع شمس العاشر من ذي الحِجّة إلى مِنى مكان التضحية الإبراهيميّة الكبرى، والتي ورد في سرٍّ تسميتها أنّ جبرائيل عليه السلام قال هناك لإبراهيم عليه السلام: **«تمنَّ على ربِّك ما شئت، فتمنّى إبراهيم عليه السلام في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كَبْشاً يأمره بذبحه فداءً له، فأُعطيَ مناه»**[1].

وفي منى يتوجّه الحاجّ إلى الأعمال التالية:

١. رمي الجمار

فيرمي الحاجّ الجمار تأسّياً بخليل الله إبراهيم عليه السلام الذي ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: **«إنّ الجمار إنّما رُميت لأنّ جبرائيل حين أرى إبراهيم المشاعر برز له إبليس، فأمر جبرائيل أن يرميه، فرماه بسبع حَصَيات، فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض، فأمسك، ثمّ برز له عند الثانية فرماه بسبع حَصَيات أُخَر، فدخل تحت الأرض في موضع الثانية، ثمّ برز له في موضع الثالثة، فرماه بسبع حَصَيات، فدخل من موضعها»**[2].

مستحبّات الرّمي

❖ يُستحبُّ الرميُ والرامي على طُهر.

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٠.

❖ كما يُستحبّ التكبير مع كلّ حصاة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كبِّر مع كلّ حصاة**»[١].

❖ ويستحب أن يقول الرامي والحصى في يده: «**اللهمّ هؤلاء حَصَياتي فأحصِهنّ لي، وارفعهنّ في عملي**».

ثمّ يرمي ويقول مع كلّ حصاة: «**الله أكبر، اللَّهمَّ ادحَرْ عنّي الشيطان، اللَّهمَّ تصديقاً بكتابك وعلى سنَّة نبيّك صلى الله عليه وآله وسلم، اللَّهمَّ اجعله حجّاً مبروراً، وعملاً مقبولاً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً**»[٢].

الآداب الباطنية للرّمي

وفي رواية شبلي يقول له الإمام السجّاد عليه السلام: فعندما رميت الجمار نويت أنّك رميت عدوّك إبليس وغضبته بتمام حجّك النفيس، قال شبلي: لا، فقال له الإمام عليه السلام: «**لا رميت الجمار**»[٣].

ثواب الرمي

وجعل اللّه الرميَ محلًّا للكرامة والمنحة، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**رمي الجمار ذخر يوم القيامة**»[٤].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا رميت الجمار كان لك نوراً يوم القيامة**»[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٣.

(٣) النوري حسين، مستدرك الوسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، ١٤٠٨هـ، ج١٠، ص١٧١.

(٤) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٣٤.

(٥) المصدر السابق نفسه.

وتوِّجت أحاديث ثواب الرمي بقوله ﷺ: **«الحاجّ إذا رمى الجمار خرج من ذنوبه»**(١).

٢. الأُضحية

ويتأسَّى الحاجّ بنبيّ الله إبراهيم عليه السلام فيذبح الهَدْيَ معلناً بذلك عن استعداده للتضحية بأغلى ما عنده، وبذلك يؤدّي حقّاً للفقراء والمساكين.

الأدب المعنوي للأضحية

للأضحية سرٌّ معنوي تحدّث عنه الإمام السجّاد عليه السلام لشبلي حينما سأله: **«فعندما ذبحت للأضحية هديك نويت أنّك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسّكت به من حقيقة الورع، وأنّك اتبعت سنّةً إبراهيم بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه وحاجة سُنَّةً لمن بعدَه وقُربةَ إلى الله تعالى لمن خلفه؟ قال شبلي: لا، فقال** عليه السلام: **«لا أدّيت نُسكك»**(٢).

٣. الحلق أو التقصير

وحتى يتمّ رجوع الإنسان إلى الطهارة التي خلقه الله عليها، يشرع الحاجّ بحلق الشعر الذي نبت على المعصية، لينبت شعر جديد ينمو على الطاعة.

وبذلك يحصل الحاجّ على ثواب عظيم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ العبد المؤمن... إذا حلق رأسه لم**

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) النوري حسين، مستدرك الوسائل، ج١٠، ص١٧١.

يسقط شعره إلاً جعل الله له بها نوراً يوم القيامة»[١].

ويُستحبّ للحاجّ أن يدفن شعره في منى، فإذا فعل ذلك نال الثواب الذي تحدَّث عنه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «**إنّ المؤمن إذا حلق رأسه بمنى، ثمّ دفنه، جاء يوم القيامة وكل شعرة لها لسان مطلق تلبِّي باسم صاحبها»**[٢].

ويعبِّر الدعاء المستحبّ، عند الحلق، عن هذا الثواب فهو: «**اللهمّ أعطني بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة»**[٣].

وقد جوَّز بعض الفقهاء التقصير بدل الحلق[٤] لكنّهم أكّدوا على استحباب الحلق، ويشهد لذلك ما رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: «**اللهمّ ارحم المحلّقين، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: اللّهمَّ ارحم المحلّقين، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: والمقصّرين»**[٥].

السرّ المعنوي للحلق

وسأل الإمام زين العابدين شبلي قائلاً: «**فعندما حلقت رأسك نويت أنّك تطهَّرت من الأدناس، ومن تبعة بني آدم، وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمُّك؟ قال شبلي: لا، فقال** عَلَيْهِ السَّلَامُ : «**فما... حلقت رأسك»**[٦].

---

(١) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الكلام في حجة الإسلام الواجبة، أمّا الحج المستحب فمن المسلَّم استحباب الحلق فيه لا وجوبه.

(٥) المصدر السابق، ص٢٣٧.

(٦) النوري، حسين، مستدرك الوسائل، ج١٠، ص١٧١.

٤. المبيت

ويبيت الحاجّ في منى ليلتين، يستعدّ كلّ ليلة منهما لمجابهة الشيطان في اليوم المقبل، إنّه أشبه بمعسكرٍ حربيّ، يتجهَّز فيه المحارب في الليل لحرب النهار.

وإنّ المبيت يشكّل اجتماعاً كبيراً للمسلمين من دون مناسك خاصّة، ممّا يعطي الفرصة لتداول المسلمين قضاياهم، ولبثّ الوعي فيهم وطرح القضايا المحقّة بينهم.

وهذا ما نجده مورداً لاهتمام أهل البيت عليهم السلام فنلاحظ أنّ الإمام الباقر عليه السلام أوصى أن يُقرأ العزاء عليه في منى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**قال لي أبي: يا جعفر، أَوْقِفْ لي من مالي كذا وكذا لنوادب يَنْدِبنَني عشر سنين بمنى أيّام منى**».

يعلّق الإمام القائد آية الله العظمى السيّد الخامنئي دام ظله على هذه الرواية قائلاً:

«وهذه الرواية لم يقف عندها من بحث في حياة الإمام الباقر عليه السلام وغفلوا عمّا فيها من دلالات كبيرة، لقد خلَّف الإمام ٨٠٠ درهم، وأوصى أن يخصّص جزء منها لمن يندبه في منى، ونَدْب الإمام في منى له معنى كبير، إنّه عمليّة إحياء ذلك المصدر الذي كان يشعّ دائماً بالتوعية والإثارة وخلق روح الحماس والمقاومة.

واختيار منى بالذات يعني مواصلة العمل في وسط

تمركز الوافدين من كلّ أرجاء العالم الإسلامي، خلال فترة الاستقرار الوحيدة في موسم الحجّ، فكلّ مناسك الحجّ يمرّ بها الحاجّ وهو في حركة دائبة مستمرّة إلاّ في منى حيث يبيت الليلتين أو الثلاث، فيتوفّر لديه الوقت الكافي لكي يسمع ويطّلِع...»[١].

مسجد الخيف

وفي منى مسجد الخيف الذي يقع مرتفعاً عن الوادي ولأجل ذلك سُمي خيفاً، ويُستحب استحباباً مؤكّداً الصلاة في هذا المسجد، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «صلِّ في مسجد الخيف وهو مسجد منى، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده عند المنارة التي في وسط المسجد، وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً، وعن يمينها وعن يسارها وخلفها نحواً من ذلك، فتحرَّ ذلك، فإن استطعت أن يكون مُصلّاك فيه فافعل، فإنّه قد صلّى فيه ألف نبيّ»[٢].

بقيّة الأعمال

ويُكمل الحاجّ أعمال حَجِّه، فيطوف طواف الزيارة ويصلّي صلاته ويسعى بين الصفا والمروة، ثمّ يطوف طواف النساء.

---

(١) مؤتمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام والمذاهب الإسلامية، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان، ط. أولى، ١٩٩٦، ص٣٧.

(٢) الريشهري، محمدي، الحج والعمرة، ص٢٢٩.

آخر الأعمال

حتى إذا كان منتصف يوم الثاني عشر من ذي الحِجّة يخرج الإنسان من منى، فإنْ كان قد أدَّى آداب الحجّ وشروطه فإنّه يخرج كيوم ولدته أمّه.

الوداع

ويودّع الحاجّ مكان الضيافة الإلهيّة متأسّياً بالإمام أبي الحسن عليه السلام الذي خرَّ ساجداً ثمّ قام، فاستقبل الكعبة، وقال: «**اللهمّ إنّي أنقلب على ألاَّ إله إلاَّ أنت**»[(١)].

فالانقلاب على التوحيد الصافي كما كانت الولادة على ذلك التوحيد، وهو لا يتحقّق إلاَّ بالولاية لمحمّد وآله الكرام، لذا كان «**تمام الحجّ لقاء الإمام** عجل الله فرجه الشريف»[(٢)].

الحفاظ على المكتسبات

وأخيراً أذكّر من نال كرامة الضيافة الإلهيّة أن يحافظ على تلك المِنَح الربانيّة، وأن لا يحرقها بذنوب يقترفها بعد ذلك، وليتذكّر ما قاله رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ثواب قول (سبحان اللّه) «**من قال سبحان الله غرس الله له شجرة في الجنّة**» فقال بعض السامعين: إنّ شجرنا في الجنّة لكثير، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقول: لكن إيّاكم أن ترسلوا إليها نيراناً فتحرقوها.

---

(١) حج الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ص٤٥٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ج٤، ص ٥٤٩.

أسأل اللّه تعالى أن يتقبَّل أعمال السائرين على خطّه، يريدون الرجوع إلى طهارة القلب ونقاوته، إنّه سميع مجيب الدعاء، والحمد للّه ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

(أ)

٢. آداب الحرمين، السيّد جواد الحسيني الشاهروردي، منشورات مكتبة فخراوي، البحرين، الطبعة العاشرة.

٣. أضواء على دعاء كميل، عزّ الدين بحر العلوم، عزّ الدين، منشورات دار الزهراء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤. الأنبياء، حياتهم، قصصهم، السيّد عبد الصاحب الحسني العاملي، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١.

٥. إقبال الأعمال، السيّد رضيّ الدين أبو القاسم علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، منشورات دار الحِجّة للثقافة، قُمّ ١٤١٨هـ.

(ب)

٦. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، محمد باقر، منشورات مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(ت)

٧. تحرير الوسيلة، الإمام الخميني (ره)، منشورات سفارة الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة، بيروت.

٨. التحفة السنيّة، الفيض الكاشاني.

٩. تسلية الفؤاد، السيّد عبد الله شُبَّر تحقيق علاء الدين الأعلمي، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٠. ١٠ـ تصنيف غُرَر الحِكَم ودُرَر الكَلِم، عبد الواحد بن محمّد تميمي آمدي، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قُمّ، الطبعة الأولى.

١١. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

١٢. تفسير العيّاشي، الشيخ أبو النصر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي، تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاَّتي، منشورات المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، إيران.

١٣. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق السيّد حسن خرسان، منشورات دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

١٤. تواريخ الأنبياء، السيّد حسن اللوساني، منشورات دار الاتحاد، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(ج)

١٥. جامع السعادات، الشيخ محمّد مهدي النراقي (ت١٢٠٩هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلمية، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٦. جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، حسين، (لا،ط)، قم، (لا، ن).

(ح)

١٧. حجّ الأنبياء والأئمّة، تحقيق معاونيّة شؤون التعليم والبحوث الإسلاميّة في الحجّ التابعة لممثليّة الوليّ الفقيه لشؤون الحجّ والزيارة، منشورات مشعر، قُمّ، ١٤١٦هـ.

١٨. الحجّ في القرآن، تحقيق معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج، منشورات مشعر، قم.

١٩. الحجّ والعُمرة في الكتاب والسنّة: محمّد الريشهري، محمدي، تحقيق ونشر دار الحديث، إيران، الطبعة الأولى.

٢٠. حقّ اليقين في معرفة أصول الدين، السيّد عبد الله شُبَّر، منشورات دار الأضواء بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

(خ)

٢١. الخصائص الحسينية، الشيخ جعفر التستري، تحقيق جعفر الحسيني، منشورات أنوار الهدى، قُمّ.

(س)

٢٢. سيرة الأئمّة الإثني عشر، السيّد هاشم معروف الحسني، منشورات الشريف الرضيّ، قُمّ.

٢٣. السير إلى الله، الميرزا جواد الملكي التبريزي، تحقيق ونشر السيّد ياسين الموسوي، قُمّ.

(ش)

٢٤. شرح رسالة الحقوق للإمام عليّ بن الحسين زين العابدين، حسن السيّد علي القبانجي، حسن، منشورات دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(ع)

٢٥. عليّ وليد الكعبة، الشيخ محمّد علي الغروي الأوربادي، منشورات مكتبة الرضوي.

(ق)

٢٦. قصص الأنبياء والمرسلين، السيّد نعمة الله الجزائري، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٧. قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي، منشورات مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(ك)

٢٨. الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب الكُلَيْني، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.

(م)

٢٩. مؤتمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام والمذاهب الإسلاميّة، منشورات المستشاريّة الثقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في لبنان، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٠. مناسك الحج، الإمام الخميني قدّس سرّه، ط٥، مؤسسة تنظيم ونشر الإمام الخميني، ١٣٧٠ش.

٣١. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق أحمد الحسيني، منشورات مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٢. المراقبات، الميرزا جواد الملكي التبريزي، منشورات دار السلام، بيروت.

٣٣. مستدرك الوسائل، النوري، حسين، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٤. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، إعداد سيد كاظم محمّدي ومحمّد دشتي، منشورات الإمام علي عليه السلام، قُمّ ١٣٦٩هـ.ش.

٣٥. مفاتيح الجنان، الشيخ عبّاس القُمّي، منشورات مؤسّسة الأعلميّة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٦. مكّة، الشيخ محمّد هادي الأميني، منشورات مكتب نشر العلم والأدب، طهران ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٧. منازل الآخرة، الشيخ عبّاس القُمّي، ترجمة حسين كوراني، منشورات دار الكتاب الإسلامي، قُمّ، إيران.

٣٨. المنجد في اللغة، منشورات دار المشرق، بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٩٩٦م.

٣٩. ميزان الحكمة، الشيخ محمّدي الري شهري، محمدي، منشورات الدار الإسلاميّة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(ن)

٤٠. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق محمد عبده، ط١، قم، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.

(و)

٤١. وسائل الشيعة، الشيخ محمّد بن الحسن الحُرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قُمّ، الطبعة الثانية.

الفهرس

الحَجّ - ٢

صدر للمؤلف

١- حقيقة الجفر عند الشيعة، دار الصفوة.

٢- حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوة. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدولي في إيران.

٣- ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، دار الصفوة. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤- دروس في علم الدراية، دار الصفوة. معتمد في المناهج الدراسية الحوزوية.

٥- ميزان السير والسلوك، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦- كيف تجعل ولدك صالحاً؟ بيت السراج للثقافة والنشر.

٧- كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيت السراج للثقافة والنشر. (بين يدي القارىء).

٨- لماذا نقلد؟ كيف؟ ومن؟ بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنسية (مركز نون للطبع والترجمة):

Why do we imitate? how? and whom?

Pourquoi imiter? (suivre un concept) Comment? Et qui?

٩- وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٠- نداء الرحيل (الموت والبرزخ)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١١- دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٢- برقية الحسين عليه السلام، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٣- ٣ حقوق لحياة زوجية ناجحة، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٤- سعادة الزوجين في ٣ كلمات، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٥- هكذا تكون سعيداً، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٦- وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٧- المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة.

١٨- أحكام النساء.

١٩- التبليغ من وحي التجربة.

٢٠- Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

٢١- ISLAM NO ORACAO A «Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

٢٢- خيوط القبعة، دار الصفوة.

٢٣- حائك القبعة (الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين)، دار الصفوة.

يمكنك تصفح جميع هذه الكتب وغيرها على موقع سراج القائم عجل الله فرجه

www.sirajalqaem.com